

الإبانة والتفهيم عن معانى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

د. عبد الفتاح السيد سليم(*)

نَصٌّ صغير خَلَّفَه الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِيّ الزَّجَّاج المتوفي سنة ٣١١هـ.

هذا النص موضوعه عبارة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، ويشتمل على ثمانين سؤالاً، تتعلق بكلمات العبارة الأربع.

(*) أستاذ بقسم اللغويات فى كلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر، تخصص فى دراسة الأخطاء اللغوية الشائعة وغير الشائعة، وله فى هذا المجال: اللحن فى اللغة العربية (مظاهره ومقاييسه)، و(المعيار فى التخطئة والتصويب) وبحوث ومحققات فى هذه المجلة، وفى مجلة عالم الكتب السعودية.

في دار الكتب المصرية مخطوطةٌ صغيرة بعنوان «الأسئلة الواردة على البسملة وأجوبتها» وهى تتضمن أسئلةً لغويةً مختلفةً عن الفاظ البسملة الأربعة «بسم، الله ، الرحمن، الرحيم» من حيث المعنى والأصل والاشتقاق والإعراب والترتيب وغير ذلك. وهى مودعة في الدار برقم ٦٧ نحو ش، وقد صُوِّر منها نسختان من الميكروفيلم: إحداهما برقم ٣٦٧٧، والأخرى برقم ١٣٩٥٨ .

* وتقع هذه المخطوطة في خَمْسَ عَشْرَةَ صفحةً، منها إحدى عشرة صفحة كتبت على استقامة الصفحة - كما هو المعتاد في كتابة المخطوطات وغيرها، وباقيها - وهو أربع صفحات - كُتِبتَ بعرض الصفحة.

وأما عدد الأسطر فمختلفٌ، أدناه ثلاثة وعشرون سطراً بالصفحة الواحدة، وبكل سطر سِتَّ عَشْرَةَ كلمةً، وقد تزيد.

وأما الخط فهو فارسيٌّ، عَسِرُ القراءة، يحتاج إلى مزيد من التأنى والصبر، لرداءته، وتكرار بعض ألفاظه، وسقطاته الإملائية والنحوية.

* وقد نسبت هذه المخطوطة - في عنوانها - إلى الزَّجَّاجِيّ؛ إذ جاء العنوان هكذا: (رسالة في بيان الأسئلة الواردة على البسملة وأجوبتها للزجاجى) وهو الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق المتوفى سنة ٣٣٧هـ صاحب الإيضاح في علل النحو، والجمل في النحو.

وعلى ذلك جرى بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربى » (٢/ ١٧٦) نقلاً عما جاء في فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية.

لكن من يقرأ في المخطوطة يرى غير ذلك، فقد جاء بعد أسطر قليلة من مقدمتها قول الكاتب: «قال أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِيّ الزجاج»، كما كرر هذا القول مرة أخرى في أثناء المخطوطة، وذلك إقرار صريح بأن صاحب هذه المخطوطة هو الزّجّاج المتوفى سنة ٣١١ هـ.

ومما يؤكد ذلك أن الكتب التى ترجمت للزجاجى لم تذكر لـه كتاباً بهذا العنوان، ولا شيئـا يتعلق بأسئلة خاصـة بالبسملـة، وإنما ذكـرت له - غير الكتب الخاصـة بالنحو - كتاباً في اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطـة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل، وهو كتاب أَحْصى فيه الزجاجىُّ أسماء الله تعالى وذكر ما يتصل بكل منها من المعنى واللغة والاشتقاق، كما ذكرت له مسائل متفرقة، وهى إحدى عشرة مسألة جمعهـا الزجاجى، وبعث بها في جواب لـه عن سؤال وُجِّهَ إليه، وقد ذكرها السيوطى في كتابـه (الأشباه والنظائر في النحو) وكلا الكتابين مغايرٌ للأسئلة الواردة في مخطوطتنا هذه.

* وإذا انتفت نسبـة هـذه المخطـوطات إلى الـزّجّـاجىّ لم يبق إلا أن تكـون من مؤلفات أستاذه الزّجّاج، بأدلَّةٍ أهمها:

١- ما جاء في آخر مقدمتها، وفي أثنائها نَصّاً على أنها له.

٢- بعض مـا ورد فيهـا من آراء جـاءت في بعض كتب التفسير منســوبـة إلى الزجاج.

٣- يضاف إلى ذلك أن للزجـاج نفسه رسالة في البسملة محفوظـة في مكتبة جوتا برقم ٧٢٧ - كما جـاء في تاريخ الأدب العـربى لبروكلمان (٢/ ١٧٢) وهى بعنوان: «الإبانة والتفهيم عن معانى بسم الله الرحمن الرحيم».

ونحن نرجح أن تكون هى هذه المخطوطة - وإن لم نتمكن من الحصول عليها - ولذا وضعنا لها هذا العنـوان، إذ أغلب الظن أن العنوان المُدَوَّنَ في أعلى مخطوطتنا إنما هو من وضع نـاسخى دار الكتب، وضعوه على عَجَلٍ حين رَأَوْا أنها تـدور على هيئة السؤال والجواب، من دون تأمل لما جاء فيها. وَبَعِيدٌ أَن يكون هذا العنوان من وضع مـؤلف المخطوطـة؛ إذ جرت عـادة القـدماء أن تكـون عنـاوين مؤلفـاتهم موجـزة ومسجوعـة غالبـاً، وهذا ما نجـده في عنوان الـزجاج الـذى عَنْوَنَّا بـه وهو «الإبـانة والتفهيم عن معانى بسم الله الرحمن الرحيم».

وكذلك يبدو من مقدمة المخطوطة أن تلميذاً للزجاج كتب إليه يسأله عما استبهم عليه واستغلق مما يجده في صدر المؤلفات من الاستفتاح بالبسملة، وهو لا يحيط بجوانبها اللغوية كافة. ومن الأرجح أن يكون هذا التلميذ هو الزجاجى نفسه، إذ تروى كتب التراجم أنه كان أحرص تلاميذ الزجاج على متابعة أستاذه وملازمته والإفادة منه، ومن هنا نسب إليه فقيل له: الزجاجى، وربما كان احتفاظ الزجاجى بها في خزانته - ثم العثور عليها من بعده فيها - سبباً في نسبتها إليه، وإن كانت لأستاذه تأليفاً.

* وتشتمل هذه المخطوطة على ثمانين سؤالاً، انتظمت في مجموعات ثلاث:

المجموعة الأولى: أربعون سؤالا تتعلق بقوله تعالى: ﴿بِسْمِ﴾ .

والمجموعة الثانية: عشرون سؤالا تتعلق بلفظ الجلالة: ﴿اللَّه﴾ .

والمجموعة الثالثة: عشرون سؤالا تتعلق بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وقد سَرَدَ المؤلف هذه المجموعات من الأسئلة الثمانين في أول المخطوطة، ثم شرع يجيب عن كل منها بعد ذلك.

* ومن يوازن بين الأسئلة المسرودة أوّلاً، والإجابة عنها فيما بَعْدُ يلاحظ ما يلى:

١ - أن الزّجّاج - عند الإجابة عن الأسئلة - لم يتقيد بالترتيب الذى سردها على وَفْقِهِ في مفتتح الرسالة،فكثيراً ما قدّم وأخرّ.

٢- وأنه لم يلتزم ذكر كل سؤالٍ عند الإجابة عنه، فقد يكتفى أحياناً بذكر آراء النحاة واللغويين، وهى في حقيقتها إجابة عن أسئلة ذكرها هو أوّلاً.

٣- وأنه قد يأتى ببعض الأسئلة الفرعية التى قد تنشأ من إجابة سؤال ذكره، ولاسِيَّمَا الأجوبةَ التى وقعت عن أسئلة القسم الأول من رسالته، وهى الأسئلة المتصلة بقوله تعالى ﴿بِسْمِ﴾، فقد عَدَّ الزجاج في سرد أسئلتها أوّلاً أربعين سؤالاً، ولكنه عند الإجابة بلغ بها فوق الخمسين سؤالا، وأجاب عنها.

٤- وأنه لم يذكر كل الأسئلة التى سردها في بدء المخطوطة لكل من لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ و﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ وإن كان كلامه قد تضمن الإجابة عنها في تضاعيفه.

* أما الزجاج صاحب هذه المخطوطة فهو:

أبو إسحاق إبـراهيم بن السَّرِيِّ بن سهل، عالم باللغة والنحـو والتفسير، ولد سنة ٢٤١ هـ، وتوفى سنة ٣١١ هـ على الأرجح، وقد كان في شبابه يخرط الزجاج، ثم مال إلى الاشتغال بالنحو، فلقى أبا العباس المبرد وثعلباً، ولزمهما وأخذ عنهما أكثر ما أخذ من النحو، ولنبوغه وتفوقه آثره المبرد من بين تلاميذه لكى يؤدب القاسم ولد عبيد الله ابن سليمان وزير المعتضد العباسى، فأصـاب من ذلك أموالاً كثيرة، وخصوصاً بعد أن وَلِيَ القاسمُ الـوزارةَ من بعد أبيه، ومن تلامـذته أيضاً أبو جعفـر النحاس، وابن الراونـدى، والزجـاجى، وكان هذا الأخير أكثـر تلامـذته حُبّاً لـه وملازمـة لحلقات دروسه، ولذا نسب إليه. ومن أشهر مؤلفات الزجـاج: كتاب معانى القرآن وإعرابه، والأمالىَ في الأدب واللغة، وفعلت وأفعلت.

* انظر ترجمة وافية للزجاج في :

- أخبار النحويين البصريين، للسيرافى (١٠٨).
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطى (١/ ١٥٩).
- الأنساب، للسمعانى (الورقة ٧٢).
- البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ١٤٨).
- بغية الوعاة، للسيوطى (١/ ١١).
- تاريخ أبى الفدا (٢/ ٧٢).
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادى (٦/ ٨٩).
- تاريخ ابن كثير (١/ ١٤٨).
- تهذيب الأسماء واللغات، للنووى (٢/ ١٧٠).
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، للموسوى (٤٤، ٤٥).
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلى (٢/ ٢٥٩).

- الفهرست، لابن النديم (٦٠، ٦١).
- مراتب النحويين، لأبى الطيب اللغوى (١٣٦).
- معجم الأدباء، لياقوت الحموى (١/ ١٣٠-١٥١).
- النجوم الزاهرة، لابن تغرى بردى (٣/ ٢٠٨).
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنبارى (٣٠٨-٣١٢).

* أما الجهد الذى أبذله في إخراج هذه المخطوطة فهو الجهد المنتظر ممن يهتم بالتحقيق، وهو يتلخص في: تقويم ألفاظ المخطوطة من حيث الإملاء والإعراب، وضبط ما يحتاج منها إلى ضبط، ثم تخريج ما ورد فيها من آيات قرآنية وآثار وأشعار، ونسبة الآراء الواردة فيها إلى أصحابها، مع التعليق على بعضها أو الاستدراك عليه، ثم التعريف بالأعلام الواردة فيها.

* وأما المسائل التى قامت عليها هذه المخطوطة، والتى تتعلق بالبسملة، فانظر بَعْضاً منها موجزاً أو مفصلاً في كتب التفسير (تفسير البسملة). ومن هذه التفاسير:

- إعراب القرآن، للنحاس.
- البحر المحيط، لأبى حيان.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبى.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطى.
- الطارقية في إعراب ثلاثين سورة من المفصل، لابن خالويه.
- فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة، للأسفراييني.
- مجاز القرآن، لأبى عبيدة.
- معانى القرآن، للفراء.
- معانى القرآن وإعرابه، للزجاج.

وانظر - كذلك - معاجم اللغة، وخصوصا (التهذيب - لسان العرب - القاموس المحيط) في المواد: (وسم - سمو - أله - رحم).

* * *

« النص المحقق »

بسم الله الرحمن الرحيم

وحَسْبُنا اللّهُ، وَ نِعْمَ الوكيلُ، وَ نِعْمَ النصير

والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسَلامُهُ. وصَلَّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسَلَّم.

أَمَّا بَعْدُ، بَصَّرَكَ الله ورَشَّدَكَ - وَوَفَّقَكَ عند خَطِّكَ - فإنك كَتَبْتَ تذكر ما عندك من كُلِّ كتاب. وما اجتمع قِبَلَكَ من الآداب، ثم وَجَدْتَّكَ تجمع ولا تَنِي [1]. وتكتب ولا تَعِي [2]، وكنت كحاطب الليل [3]. وغُثَاءِ [4] السَّيْل، فَرَجَعْتَ على حَـافِرتَك [5].

(١) وَنَى فى الأمر يَنِى ونَياً : بمعنى ضَعُفَ وفَتَرَ، وفى القرآن الكريم : ﴿ وَلاَ تَنِياَ فِى ذِكْرِى ﴾ (الآية ٤٢ من سورة طه).

(٢) وَعَى فلان الحديث يَعِيه وعَياً: بمعنى حفظه وتدبره، ومنه الوعاء الذى يُجْمَعُ فيه الشىء ويحفظ.

(٣) من التعبيرات المجازية التى تقال لمن يُخَلِّطُ فى كلامـه، وأصله أن من يجمع حطباً فى الليل لا يستطيع أن يميز بين ما ينفع وما لا ينفع، ولا بين أعواد الشجر وغيرها من هوامِّ الأرض.

(٤) الغُثَاَء: مـا يحمله السيل من القَمْش، وهو أيضـا الزَّبَـدُ والقَذَرَ وحَدَّه الـزجاج فقال: هـو الهالك البالى من ورق الشجر إذا خرج السيل رأيتـه مخالطاً زَبَدَهُ. والمقصود بـ (غثـاء السيل) فى النص: ضَمٌّ كثير مما لا خير فيه ولا نفع إلى قليل فيه الخير والنفع.

(٥) الحافر والحافرة: الموضـع المحفور من الأرض بقدم أو نحوها، والعرب تقول: أتيت القوم ثم رجعت على حافرتى: أى طريقى الذى أصعدت فيه خاصّةً، فإن رجع إلى غيره لم يَقُلْ ذلك. وفى التهذيب: أى رجعت من حيث جئت. ويقال: رجع على حافرته، وإلى حافرته ، وفى حـافرته، وعند حافرتـه: كُلُّ ذلك بمعنىً هو: العَوْدُ إلى مكانه الأول. وفى الحديث: "إن هذا الأمر لا يترك على حاله حتى يُرَدَّ على حافـرته"، وفيه أيضا من حديث سراقة "أرأيت أعمالنا التى نعمل؟ أو مؤاخذون بها عنـد الحافرة؟". وفى القرآن الكريم ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِـرَةِ﴾ (الآية ١٠ من سورة النازعات).

وَعُدتَّ على شـاكلتك [٦]، حافظـاً ما كتبت، ومتفهماً مـا جمعت، فَوَجَـدتَّ أَوَّلَ كُلِّ كتاب. وكُلِّ كلامٍ وخطاب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فَالْتَمَسْتَ حقيقةَ معرفته، قَبْلَ النفـوذ إلى غيره، فلم تَجِدْ فيـه قَـولاً شـافيـاً، فسـألتنى أن أكْشِفَ لك مَبَـانِيـه. وأُوضِحَ لك معانيـه، فَجَذِلْتُ [٧] بإقبـالك. وَ أَجَبْتُكَ إلى سؤالك، وبَيَّنْتُ لك مـا سألتَ و إعرابَهُ، وأَوْضَحْتُهُ وكتبتُ لك من أوّل الكتاب أَبْوَابَهُ، والسؤالَ عنه وجَوَابَهُ، واللَّهَ أسألُ العَوْنَ على جميع ذلك بِمَنِّهِ [٨] وَجُودِهِ، إنه وَلِيُّ ذلك والمعين عليه.

قال أبو إسحاقَ إبراهيمُ بْنُ السَّرِيِّ الزّجّاجُ:

إنى تَدَبَّرْتُ [٩] قول الله جَلَّ اسْمُه: ﴿بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [١٠] فَوَجَدْتُ فيه ثمانين سؤالاً:

منها في قوله ﴿بِسْمِ﴾ أربعون سـؤالاً. وعن اسم ﴿اللَّه﴾ - جل ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه - عشرون سـؤالاً. وفي ﴿الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيـمِ﴾ عشرون سـؤالاً - على مـذهب النحويين والعلماءِ الماضين - نذكر أجوبتها على الاختصار والإيجاز؛ لِيَقْرُبَ حفظها، وإلى الله أرغبُ في الإعانة على ذلك. فَأَوَّلُ ذلك أن يقال:

ما معنى ﴿بِسْمِ﴾؟ وما تفسيره؟ وما إعرابـه؟ ولم ابْتُدِئَ بالباء؟ ولم اخْتِيرَتْ الباءُ من بين حروف الجر؟ ولم حَذَفَ البـاء وما بعدها؟ ولم كُسِرتَ البـاء؟ ولِـمَ لَـمْ تُفْتَح

(٦) الشاكلة: الناحية والطريقة، وشاكلة الإنسان: شكله وطريقته، وفى التنزيل العزيز: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الآية ٨٤ من سورة الإسراء]: أى على طريقته ومذهبه، أو على ناحيته وجهته.

وقول الزجاج في النص: (وعدت على شاكلتك) معناه: رجعت إلى نـاحيتك التى أتيت منها، وهو مجاز عن مراجعة ما جمع. أو معناه: رجعت إلى من يشاكلك من المتعلمين، لكى تفهم عنهم ما جمعت وما حفظت.

(٧) الجَذَلُ: أشد الفرح، يقال: جَذِلَ يَـجْذَلُ جَذَلاً، فهو جَذِلٌ وجَذْلاَن، بمعنى: اشتد فرحه، والجمع جَذَالَى، والأنثى جذلانة.

(٨) المَنُّ- بفتح الميم-: الإنعام، ويقال مَنَّ عليه با لمال مَنّاً- من بـاب قتل- وامْتَنَّ عليه به أيضا، بِمَعْنى: أنعم عليه به. ويستعمل المَنّ فى غير هذا الموطن بمعنى: تعـديد ما فعلت لصاحبك من معـروف، مثل أن تقول: أعطيتك كذا، وفعلت كذا. ويقصد منـه التكدير والتغيير الذى تنكسر منه القلوب وتـذل الرقاب، ومنه ما جـاء فى القرآن الكريم: ﴿لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [الآية ٢٦٤ من سورة البقرة].

(٩) تدبرت الأمر: نظرت فيه- من جميع جوانبه- بفكر وروية، وأصله: نظرت فى دُبُرِه، وهو عاقبته وآخرته.

(١٠) الآيات القرآنية والأشعار الواردة فى سرد هذه الأسئلة، سيأتى تخريجها عند إجابة المؤلف عن هذه الأسئلة.

مع المُكْنِيِّ كما تُفْتَحُ اللامُ في قولك: لَهُ؟ وَلِمَ لَمْ يَقُلْ: بالله - مكان ﴿بِسْمِ اللّه﴾؟ ولِمَ قال لَبِيدٌ: (ثُمَّ اسْمُ السَّلاَمِ عَلَيْكُما)؟ وَلِمَ قال أبو عبيدة: معناه: ثم السلام عليكما؟ ولم سُمِّيَتَ الباء حرف جر؟ وما موضع الباء من الإعراب؟ وما اشتقاق (اسم)؟ وما وزنه؟ وهل هو تام أم ناقص؟ وما المحذوف منه؟ ولم حذف من آخره حرف؟ ولم زِيدَ في أوله ألف وصل؟ وكيف كان قبل دخول الألف؟ ولم سكن أوّله حتى احتاج إلى الألف؟ وكم في ﴿بِسْمِ﴾ من لغة؟ ولم حذفت الألف في اللفظ؟ ولم سكنت السين على لغة من قال: ﴿بِسْمِ﴾ بلا ألف؟ ولم دخلت الأسماءَ أَلِفُ وَصْلٍ؟ وَلِمَ لَمْ تُزَدْ ٱلأَلِفُ في أَبٍ وأَخٍ، وقد حذف آخرهما؟ وما حجة من قال: هو مأخوذ من السِّمَةِ؟ ولم حذف الفعلُ الذى قبل الباء؟ وهل تضمر فِعْلاً أو أفعالاً مختلفة؟ ولم حذفت الألف من الكتاب؟ ولم أثبتها مع غير اسم الله؟ وكم اسْماً تدخل ألف الوصل فيه؟ ولم دخلت في (امرىء) ولم تحذف منه شَيْئاً؟ ولم سَمَّيْتَها أَلِفاً، والأَلِفُ لا يُبْتَدَأُ بها؟ وهل تبنى من (اسم) فِعْلاً؟ ولم اختيرت الباء من بين حروف المعجم؟ وهل يحذف الألف في الخط في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِيٰهَا وَمُرْسَىٰهَا﴾؟ وهل يجوز قطع هذه الألف؟ ولم قال بعضهم: إن (اسْمَاً) مبنيٌ من الأمر، من قولهم: أَسْمِ فُلاَناً؟ ولم قالوا:(اسْمٌ) لكل لقب يقع على مذكور؟.

فهذا ما في ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ من السؤال، وسترى الجواب عن واحدٍ واحد.

فأما قولك: ﴿اللَّهُ﴾ تعالى، فإنه يقال فيه:

هل هو اسم أو صفة؟ وهل له اشتقاق؟ وما اشتقاقه؟ وهل يُمَثَّلُ بِفِعْلٍ؟ وما مثاله من الفِعْل؟ وما وجه صفاته؟ ولم دخلت عليه الألف واللام؟ ولم حذفت الهمزة؟ ولم فتحت الألف مع اللام؟ ولم قالوا: لاَهِ أبوك، فحذفوا إحدى اللامين؟ وأَيُّ اللامين المحذوفة؟ ولم دخلت عليه التاء في القسم دون غيرها؟ وما الفرق بين اللام فيه وبينها في (النَّجْم) و(الثُّرَيَّا)؟ وما معنى قولهم: فلان يَتَأَلَّهُ؟ وكم لاماً في قولك: اللّه ، وفي قولك: لِلَّهِ ؟ وما موضعه من الإعراب؟ ولم دخلت عليه (يا) في النداء ، ولم تدخل على ما فيه الألف واللام ؟ ولِمَ يُفَخَّمْ بعد الضم والفتح ،

ولا يفخم بعد الكسر؟ وكم أَلِفاً فيه؟ ولِمَ - إذا دخلت ألف الاستفهام على ألفه - لَمْ يحذف؟ فهذا ما فيه من السؤال، وسترى الجواب بَعْدُ، إن شاء الله.

فَأَمَّا ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فإنه يقال فيهما:

هل هما اسمان أو صفتان؟ وهل هما مشتقان أو غير مشتقين؟ وهل معناهما واحد، أو لكل واحد معنى على انفراده؟ وما وزنهما؟ وهل هما جاريان على فِعْلٍ أو لا؟ ولم قُدِّمَ (الرحمن) على (الرحيم)؟ وهل يجوز تقديم (الرحيم) عليه؟ ولِمَ لا يوصف الرجل بـ(الرحمن)؟ ويوصف بـ (الرحيم)؟ وعلى أيِّ وجه وُصِفَ الله جَلَّ وعَلاَ بهما؟ وما إعرابهما؟ وهل يجوز غير الجر فيهما؟ وهل كانت العرب تعرف (الرحمن)؟ ولِمَ ذهبت لامها في اللفظ؟ ولم كتبت في الخط، ولا لَفْظَ لها؟ ولم حذف الألف الذي بعد الميم في الكتاب؟ وهل هما متعديان بمعنى واحد، أو بمعنيين؟ وما وجه قول من قال: هما اسمان دقيقان، أحدهما أَدَقُّ من الآخر؟ وما وجه وصف الله عَزَّ وَجَلَّ بهما؟ وهل عُرِفَ ذلك منه؟ وهل كانا مع اسم الله جَلَّ اسْمُهُ في أول نزولها أو أضيفا إليه.

فهذه ثمانون سؤالاً، نذكر جوابها على اختصار وإيجاز؛ ليقرب حفظه، ويَعُمَّ نفعه، وإلى الله أرغب في الإعانة على ذلك وغَيْرِهِ، والتوفيق للصواب بِمَنِّهِ، إنه وَلِيُّ ذلك.

فَأَوَّلُ ما يُسْأَلُ عنه أن يقول القائل: ما معنى ﴿بِسْمِ﴾ عند أهل التأويل[11]؟ فالجواب في ذلك: أنه رُوِيَ عن النبى صلى الله عليه وسلم أن عيسى ابن مريم أُقْعِدَ بين يَدَىْ مُؤَدِّبٍ، فقال له المؤدب: قُلْ: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: وما

(١١) التأويل: مرادف للتفسير فى أشهر معانيه اللغوية، أما فى اصطلاح المفسرين فإن معناه يختلف: فبعضهم يرى أنه مرادف للتفسير، وبعضهم يرى أنه بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل، وبعضهم يرى أنه بيان اللفظ عن طريق الدراية، أو بيان المعانى التى تستفاد بالإشارة.

وهذا الأخير هو مراد الزجاج هنا، وهو المشهور المتعارف عند أئمة التفسير، فقد جاء فى تفسير الآلوسى أن التأويل: معان قدسية ومعارف ربانية تَنْهَلُّ من سحب الغيب على العارفين. (انظر توضيحا وتفصيلا فى: مناهل العرفان فى علوم القرآن- للزرقانى- ١/ ٤٧٢ وما بعدها).

﴿بِسْمِ﴾؟ قال المؤدب: لا أدرى، فقال عيسى صلى الله عليه وسلم: الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم ملكه(١٢).

وقال الحسن(١٣): الباء بهاء الله، والسين سناؤه، والميم مجده.

فإن قال قائل: ولِمَ ابْتُدِئَ بالباء، وهي حرف، والحروف لا يُبتدأ بها، لا تقول: لِعَمْرٍو، ومِنْ عَمْرٍو، حتى تذكر شَيْئاً يتعلق به الحرف. فالجواب في ذلك: أن قَبْلَ الباء فِعْلاً مقدَّراً مضمراً يتعلق به الباء(١٤).

فإن قال قائل: وما هو؟

فالجواب: أن الفعل (أَبْدَأُ) بسم الله .

---

(١٢) أخرجه ابن جرير وابن عدى فى الكامل، وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية، وابن عساكر فى تاريخ دمشق، والثعالبى- بسند ضعيف جدا- عن أبى سعيد الخدرى (انظر: الدر المنثور فى التفسير بالمأثور- للسيوطى- ١/ ٩ مع تغيير بعض الألفاظ- وانظر تعليق الطبرى عليه فى تفسير الطبرى١/ ٥٣).

(١٣) هو الحسن بن يسار البصرى، أبو سعيد، إمام أهل البصرة، ولد فى المدينة، وشب فى رعاية على بن أبى طالب- كرم الله وجهه- ثم سكن البصرة ومات بها سنة ١١٠ هجرية- (وانظر ما قاله فى كتاب الزاهر فى معانى كلمات الناس للأنبارى ١/ ١٥٢).

(١٤) جرى الزجاج هنا على أن الباء فى ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يتعلق بفعل محذوف قدره بـ (أبدأ)- فيما بعد- وذكر الكسائى وابن خالويه أن الباء زائدة لا متعلق لها. وذكر المجاشعى أن الباء وما عملت فيه يجوز أن يكون فى موضع الخبر على تقدير مبتدأ محذوف تقديره: ابتدائى بسم الله، فالباء على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذى هو نائب عنه، كأنه قيل: ابتدائى ثابت- أو مستقر- بسم الله، ولا يجوز أن يتعلق بـ (ابتداء)، لأنه مصدر، فلو تعلق به لدخل فى صلته وبقى المبتدأ بلا خبر، وذلك أن المصدر إذا كان بمعنى (أَنْ فَعَلَ وأَنْ يَفْعَلَ) احتاج إلى صلة.

وحكى أبو جعفر النحاس عن البصريين أن تقديره: أول ما أبدأ بسم الله، ولا يجوز أن تتعلق الباء فى هذا الوجه بـ (أبدأ)، لأنه فى صلة (ما) وما تعلق بالموصول لا يجوز أن يكون خبرا، فتكون الباء متعلقة بمحذوف، وذلك المحذوف خبر المبتدأ. انظر تفصيلاً وتوضيحاً فى:

- فاتحة الإعراب فى إعراب الفاتحة، للأسفرايينى، ٦٩.
- الطارقية فى إعراب ثلاثين سورة من المفصل، لابن خالويه، ٦٢.
- البحر المحيط، لأبى حيان ١/ ١٦.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ١/ ٨٦ (طبعة دار الشعب).
- إعراب القرآن، للنحاس ١/ ١٦٦.
- الرسالة الكبرى على البسملة، للصبان، ١٧ وما بعدها.
- الدُّرُّ المصون فى علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبى ١/ ٢٢ وما بعدها.

فإن قال: أَتُضْمِرُ في كل معنى فِعْلاً واحداً، أو أفعالاً مختلفة؟

ففي ذلك جوابان:

أحدهما: أن تضمر لكل معنى فِعْلاً يشاكله، فإذا أردت القيام أضمرت: أقوم بسم الله، وإن أردت القعود أضمرت: أقعد بسم الله، وكذلك الركوب وغيره.

والجواب الآخر: أن تضمر (أَبْدَأُ) في كل معنى؛ لأنه تجرى المعانى كلها عليه، فتقول عند كل مأكل ومشرب وملبس ومركب: أَبْدَأُ بسم الله، وهذا قول الحُذَّاقِ من النحويين البصريين والكوفيّين.

فإن قال قائل: لِمَ حَذَفْتَ الفعل، ولم تذكره؟

فالجواب في ذلك: أَنَّ من شأن العرب الإيجازَ والاختصار[١٥] وحَذْفَ الفعل، إذا كان فيما بقى دَلِيل على ما أُلْقِيَ.

فمن ذلك: ما قال سيبويه[١٦] أنك إذا رأيت رجلا في هيئة الحاجّ قلت: مَكَّةَ، وَاللهِ - أضمرت: تريد مكة. أو رأيت رَجُلاً قد سَدَّدَ نحو القِرْطَاسِ سَهْماً، ثم سمعت وَقْعاً: القرطاسَ، واللهِ - أى أصاب القرطاسَ. أو كنت على الطريق فاعترضك معترض فقلت: الطَّرِيقَ - أضمرت: خَلِّ الطريق[١٧].

---

(١٥) يرى الزجاج أن حذف الفعل هنا جاء على سنن كلام العرب من الإيجاز والاختصار لعلم المخاطب بحذف ما دل عليه الدليل. لكن السهيلى التمس لذلك الحذف عللا لطيفة غير الإيجاز:

منها أنه موطن ينبغى ألا يقدم فيه سوى ذكر الله، فلو ذكر كان مناقضا للمقصود، فكان فى حذفه مشاكلة اللفظ المعنى.

ومنها أن إضمار الفعل وحذفه أكثر ما يكون فى الأمر نحو: إياك والطريق، والمتكلم بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ هو الله سبحانه وتعالى، وهو أمر عبادة بالابتداء بها فى كل سورة من القرآن.

ومنها أنه إذا حذف الفعل صلح الابتداء فى كل عمل أو شغل، فليس فعل أولى بها من فعل، فكان الحذف أعم من الذكر وأبلغ، مع الاستغناء عنه بالمشاهدة (انظر نتائج الفكر ٥٥).

(١٦) هو إمام النحاة، وصاحب الكتاب المشهور باسمه فى النحو، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ولد سنة ١٤٨ هـ، وتوفى سنة ١٨٠هـ.

(١٧) انظر كتاب سيبويه ١/ ٢٥٧، والنقل هنا مع تغير اللفظ والاختصار.

ومن ذلك قولهم: بِاللَّهِ، وَ وَ اللَّهِ، وَ تَاللَّهِ – في اليمين. معناه: أحلف بالله، والواو بدل من الباء، والتاء بدل من الواو. وليس هذا موضع ذكره، والإضمارُ – لعلم المخاطب – كثيرٌ.

وكذلك لَمَّا قُلْتَ: بسم الله، عُلِمَ أنك أضمرت فعلاً، واجتزأتَ بهذا الابتداء عنه، وقد أظهر الشاعر هذا المعنى بعد ذكره (بسم الله) فقال:

بِاسْمِ الإِلهِ، وَبِهِ بَدِينَا وَ لَوْ عَبَدْنَا غَيْرَه شَقِينَا[18]

قال محمدُ بْنُ يَزِيدَ المبَرِّد[19] :بَدِينَا لُغَةٌ[20]، والأجود بَدَأْنَا.

فإن قال قائل: لِـمَ اخْتِيرتْ الباء في هذا الموضع، دون سائر حروف الجر؟

فالجواب: أن لكل حرف من حروف الجر مَعْنىً، فالباء معناها الإلصاق[21]؛ لأنها تُلْصِقُ الأفعالَ بالأسماء؛ ألا ترى أن قولك: مررت بِعَمْرٍو: أَلْصَقْتَ المرورَ إلى عمرو بالباء، وليس غَيْرُهَا يُحْدِثُ معناها. ولها عشرون موضعاً، وقد ذكرناها في باب حروف الجر[22].

فإن قال قائل: لم سُمِّيَتْ حُرُوفَ الجر؟

(١٨) من مشطور الرجز، قائله عبد الله بن رواحة.

انظر الطارقية ٦٨ – مجاز القرآن ١/ ٢٠ – لسان العرب (بدا) – شرح ابن الناظم ٤٧٧ – شرح شواهد الدرة المضية للموسوى (مخطوط محقق) ٢:٧١٢.

(١٩) هو: أبو العباس صاحب (المقتضب فى النحو) و (الكامل فى اللغة والأدب)، توفى سنة ٢٨٥هـ.

(٢٠) فى لسان العرب (بدا): «بدئت بالشيء وبَديتُ: ابتدأت، وهى لغة الأنصار. قال بن برّى: قال ابن خالويه: ليس أحد يقول: بَدِيتُ بمعنى بدأت إلاّ الأنصار، والناس كلهم: بَدِيتُ وبدأت».

(٢١) جاء فى كتاب سيبويه [٤/ ٢١٧] من تحقيق هارون: «وباء الجر إنما هى للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيد، ودخلت به، وضربته بالسوط: ألزقت ضربك إياه بالسوط، فما اتسع من هذا فى الكلام فهذا أصله».

(٢٢) تقدم فى نص سيبويه السابق أن الإلصاق هو المعنى الأصل للباء، وكل المعانى مردودة إليه. انظر هذه المعانى موزعة بين الكتب الآتية:

- الجنى الدانى فى حروف المعانى [١٠٢] وما بعدها.
- جواهر الأدب فى معرفة كلام العرب [٣٤] وما بعدها.
- رصف المبانى فى شرح حروف المعانى [١٤٢] وما بعدها.

فالجواب: أنها سميت بذلك؛ لأنها تَجُرُّ الأفعال إلى الأسماء(٢٣).
فإن قال قائل: فلم جَرَّتْ الباءُ ما بعدها:

فالجواب: ما قال عَمْرُو بْنُ عثمانَ الحَارِثِيّ يعنى سِيبَوَيْهِ: أن معناها الإضافة(٢٤)، والإضافة تكون بإضافة اسم إلى اسم، وبإضافة حرف إلى اسم. فإذا قلت: زَيْدٌ كَعَمْرٍو، أَضَفْتَ الشَّبَهَ إلى عمرو بـ (الكاف). وإذا قلت: انتهيت إلى بكر، أضفت الانتهاء إلى بكر بـ (إلَى). فحرف الباء على معنى الإضافة؛ ألا ترى أن قولك: غُلامُ عَمْرٍو، وتقديره: غُلامٌ لِعَمْرٍو، فالحرف مقدر في الإضافة المَحْضَةِ(٢٥).
فإن قال قائل: ولِمَ كسرت الباء من ﴿بِسْمِ الله﴾؟

قال أبو عُمَرَ الجَرْمِي(٢٦): الباء لَمَّا كانت لا تعمل إلا جَراً كسرت إتباعاً لعملها(٢٧). وقال سيبويه: ليس في الحروف كَسْرٌ لازِمٌ إلا في باء الإضافة

(٢٣) كذا بالأصل، ولعل المراد ما أَثْبَتَهُ غيره، وهو: لأنها تجر معانى الأفعال إلى الأسماء، أى توصلها، فيكون المراد من الجر هو المعنى المصدرى، ومن ثم يسميها الكوفيون حروف الإضافة، لأنها تضيف معانى الأفعال- أى توصلها- إلى الأسماء. وبعض العلماء يرى أنها سميت حروف الجر لأنها تعمل الجر، فيكون المراد من الجر: الإعراب المخصوص المقابل للنصب والجزم.(انظر: حاشية الصبان على الأشمونى ٢/ ٢٠٣، شرح التصريح على التوضيح ٢/ ٢).

(٢٤) جاء فى كتاب سيبويه فى باب الجر [١/ ٤١٩]: "واعلم أن المضاف إليه يَنْجَرُّ بثلاثة أشياء: بشىء ليس باسم ولاظرف، وبشىء يكون ظرفا، وباسم لا يكون ظرفا".. ثم قال "وأما الباء وما أشبهها فليست بظروف ولا أسماء، ولكنها يضاف بها إلى الاسم ما قبله أو ما بعده، فإذا قلت: مررت بزيد، فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء، وكذلك: هذا لِعَبْدِ اللَّهِ، وإذا قلت: أنت كعَبْدِ اللَّهِ، فقد أضفت إلى عبد الله الشبه بالكاف..".

(٢٥) الإضافة المحضة- فى عرف النحاة- هى الخالصة من تقدير الانفصال، وهى التى يكتسب فيها المضاف من المضاف إليه تعريفا أو تخصيصا، نحو: كتاب محمد، وكتاب رجل، وهذا النوع من الإضافة على تقدير حرف جر، أى: كتاب لمحمد، وكتاب لرجل.
أما الإضافة غير المحضة- ويقال لها الإضافة اللفظية- فهى التى لا تفيد المضاف تعريفا ولا تخصيصا، وضابطها أن يكون المضاف صفة تشبه المضارع فى كونها مراداً بها الحال أو الاستقبال،وفائدتها: تخفيف اللفظ بحذف التنوين أو ما يقوم مقامه فقط.

(٢٦) هو: صالح بن عمر بن إسحاق، إمام فى النحو، أخذ عن الأخفش وغيره، توفى سنة ٢٥٥هـ

(٢٧) انظر هذا الرأى للجرمى، والاعتراض عليه، ودفع الاعتراض فى كتاب: فاتحة الإعراب فى إعراب الفاتحة للأسفرايينى [٦٨].

ولامِها[٢٨]، فَيَدُلُّ هذا القول على أن في الحروف ضَماً وفَتْحاً، فجعلوا فيه كَسْراً.

قيل لِلْجَرْمِيِّ: ألاَ كَسَرْتَ الكـافَ؛ لأن عملها الكَسْرُ، قيـاساً على البـاء؟ فَاحْتَجَّ أصحابه بـأن الكاف تكون اسْماً[٢٩] في مثل قـولك: زيد كعمـرو، معناه: زيـد مِثْلُ عمرو، وأنشدوا:

لا يَنْتَهُونَ، وَ لاَ يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ   كَالْطَعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الْزَيْتُ والفُتُلُ[٣٠]

أراد: مِثْلُ الطعن. ومِثْلُهُ كثيرٌ، وهذا موضع اختصار وجُمَلٍ.

فإن قـال قـائل: ألاَ فَتَحْتَ، الباءَ مـع المضمر إذا قلت: بِـهِ، كما فتحت الـلام في قولك: لَهُ؟

فالجواب: أن أصل الـلامات الفتح، وإنما كسرت مع الظاهر؛ لِيُفْـرَقَ بينها وبين لام الخبر في قولـك: إِنَّ هَذَا لِعَمْـرٍو- إذا كان عمـرو يملكه. وإِنَّ هَـذَا لَعَمْرٌو - إذا كان المشار إليـه عَمْراً. فلما جئت إلى المَكْنِيِّ باللام أَلْبَسَ، فَـرُدَّتْ إلى أصلها - وهو الفتح - لأنك تقول: إن هذا لَكَ - في المِلْك -، وإن هذا لأَنْتَ - في الخبر -، وكان في اختـلاف المُضْمَـرَيْنِ دليل على المعنيين، ففتحـت الـلام. ولم يكن في البـاء عِلَّـةٌ توجب فتحها، فتركت مكسورةً مع المضمر والظاهر مقدَّماً ومؤخراً.

فإن قال قائل: فلـم كسرت لام (كَيْ) والعلة التى كسرت لها معدومة؟

---

(٢٨) انظر: كتاب سيبويه [١/ ١٧]، ولم ترد العبارة فيه على سبيل الحصر- كما نقل الزجاج هنا- وإنما قال: والفتح فى الحروف التى ليست إلا لمعنى، وليست بأسماء ولا أفعال، قولهم: سوف وثم. والكسر فيها، قولهم فى باء الإضافة ولامها: بزيد، ولزيد. والضم فيها: منذ- فيمن جَرَّ بها- لأنها بمنزلة (مِنْ) فى الأيام. والوقف فيها، قولهم: من وهل..

(٢٩) ومعنى هذا أنهم أرادوا أن يفرقوا بين ما يَجُرُّ ولا يكون إلا حرفاً- أعنى الباء- وما يَجُرُّ وقد يكون اسْماً-أعنى الكاف- وكانت الكاف أولى بالفتحة، لأنها تدل على معنيين: معنى الاسم ومعنى الحرف، فحركوها بأخف الحركات، وهى الفتحة.

(٣٠) البيت من البسيط، قائله الأعشى ميمون بن قيس. ورواية التبريزى: (لا تنتهون) ورواية الديوان: (هل تنتهون؟)، ويروى فى بعض كتب النحو: (أتنتهون).

انظر: شرح الجمل لابن عصفور [١/ ٤٧٨]- سر صناعة الإعراب [١/ ٢٨٥]- الأمالى الشجرية [٢/ ٢٢٩، ٢٨٦]- ديوان الأعشى [٦٣].

قلت: لأن لام (كى) هى لام الجر، وإنما ينتصب مـا بعـدها بإضمار (أنْ)؛ لأن قولك: جئت لتكرمنى، معناه: جئت لإكرامك، فاللام على بابها.

فإن قال قائل: فلم كَسَرْتَ لاَمَ الأمر في قولك: لِيَقُمْ عَمْرٌو؟

قلت: لأ فْرُقَ بينها وبين لام الخبر.

فإن قال: فإنها تشبه - إذا كسرتها - لاَمَ الجر؟

قلت: لام الجر لا تدخل الأفعال.

فإن قال: ولم وجب أن يكون أَصْلَ اللاَّمَاتِ الْفَتْحُ؟

قلت: لأن كل شىء إذا كـان على حـرف واحد - إذا كـان حَـرْفاً - فَحُكْمُـهُ أن يكون مفتوحاً، كـ (واو) العطف وأَلِفِ الاستفهام، ونحوهما.

فإن قال قائل: ولم كان ذلك؟

فالجواب: أنـه يُضْطَرُّ إلى حركتـه، إِذْ كان الساكن لا يُمْكِنُ الابتـداءُ به، ولم يكن الغرض غير الحركة، فَاخْتِيرَ الفتح؛ لأنه أَخَفُّ الحركات.

فإن قال قـائل: أَلَسْتَ زَعَمْتَ أنه لا يبتدأ بحرف الجر؟ فَلِمَ تَقُـولُ: لِعَمْرٍو المالُ، ولِلَّهِ الحَمْدُ؟؛ فالمعنى: الحمد لله، والمال لعمرو، ولولا ذلك لم يَـجُزْ[٣١].

فإن قال: فما تقول في قول الشاعر:

عَلَى اسْمِ اللَّهِ ثُمَّ لِدِى غُلاَماً ... لَهُ الْمَالُ الْمُقَدَّمُ فِي الضَّمِيمِ[٣٢]

لم ابْتُدِئَ بـ (على)؟

قلت: معناه: افْعَلْ على اسم الله، ثم حذف الفعل. ولـولا ذلك لم يجز، وهذا قول المُبَرِّدُ، ولا يجوز غيره.

---

(٣١) يعنى أن الممتنع أن يبتدأ بحرف الجر لفظـا ورتبة، أما إذا كان مبتدأ به لفظا لا رتبـة، فإنه يجوز، كأن يكون خبرا مقدما، نحو: لله الحمد.

(٣٢) البيت من الوافر، ولم أجده ولا رأى المبرد المذكور فى كتابَىْ المبرد (المقتضب والكامل).

فإن قال قائل: فما معنى قول القائل: (بسم الله) وذكرت أن معناه: أَبْدَأُ بسم الله، ألا قلت: بالله، أو أبدأ بالله، ولم تَحْتَجْ إلى اسم؟

قلت: إنما أَمَرَ صلى الله عليه وسلم أن يُبْدَأَ بـ (بسم الله)، كما قال له جبريل عليه السلام: اقرأ يا محمد بذكر ربك، ولم يُرِدْ أن يخبر عن عظمة الله جَلَّ ثناؤه، فيقول: بالله الرحمن الرحيم.

فإن قال قائل: فما تقول في قول لبيد:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلاَمِ عَلَيْكُمَا   وَ مَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ[٣٣]

وقد عَلِمْتَ أن أحد العلماء المتقدمين[٣٤] ذكر أن معناه: ثم السلام عليكما، وكذلك بسم الله يكون معناه: بالله.

فالجواب: أن هذا[٣٥] ....

وهذا يستحيل عند أهل العلم والحُذَّاقِ من النحويين[٣٦].

فإن قيل: فما تأويل قول لبيد؟

قلت: له مذهبان في المعنى، ومذهبان في الإعراب:

فأما أَحَدُ مَذْهَبَيْ المعنى [فهو] أن السلام اسم من أسماء الله تعالى، كأنه قال: (ثم اسم الله عليكما)[٣٧] كما تقول العرب. وهو شائع كثير.

---

(٣٣) البيت من الطويل.

انظر: ديوانه ٢١٤- الخصائص ٣/ ٢٩- ابن يعيش ٣/ ١٤- همع الهوامع ٢/ ٤٩- أمالي الزجاجي ٦٣.

(٣٤) من هؤلاء المتقدمين الذين رأوا زيادة اللفظة (اسم) في البيت وفي البسملة: قطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ، وأبو عبيدة المتوفى ٢١٠ هـ والأخفش المتوفى سنة ٢١١ هـ.

انظر: مجاز القرآن ١/ ١٦- الدر المصون للسمين الحلبي ١/ ١٨- تفسير القرطبي ١/ ٨٦.

(٣٥) يبدو أن هنا حذفا، ولعل الكلام: فالجواب أن هذا يؤدي إلى زيادة الأسماء.

(٣٦) لأن الأسماء والأفعال لا تزاد بقياس، وأما الحروف فيزاد بعضها قياسا في مواطن خاصة، وبشروط محددة مذكورة في كتب النحو.

(٣٧) فعلى هذا الرأي يكون الاسم غير المسمى، ومعنى: اسم الله عليكما: بركته تنزل بكما.

والوجه الآخر أن يكون معناه: ثم تَسْمِيَةُ[٣٨] السلام عليكما.

وأما إعرابه: فيكون رفعاً ومعناه الإغراء[٣٩] بـ (عليكما)، فَلَمَّا قُدِّمَ - والمُغْرَى لا يتقدم على عامله - أضمرت هذا، والمعنى موجود، كما قال الشاعر:

يَأَيُّهَا المَائِحُ: دَلْوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا
يُثْنُونَ خَيْراً وَ يَمْدَحُونَكَا[٤٠]

أراد: هذه دَلْوِي دُونَكَا.

ويجوز النصب، على قوله: الْزَمَا اسْمَ الله، ثم حُذِفَ[٤١].

فإن قال قائل: فما وجه (بسم الله) عندك؟ ومامعناه؟.

قلت: معناه: أبدأ بـ (بِسْمِ الله)، والاسم نائب عن التسمية[٤٢].

---

(٣٨) وعلى هذا الرأى يكون الاسم هو المسمى، وإضافته إليه من باب إضافة الشيء إلى نفسه إذا تغاير اللفظان، نحو قولهم: سَعِيدُ كُرْزٍ، وزَيْدُ بَطَّةَ، ونحو ذلك مما يراد بأحدهما اللفظ وبالآخر المدلول عليه به. قال ابن قيِّم الجوزية فى بدائع الفوائد [١/ ٢١]: وفيه نكتة حسنة، كأنه أراد: ثم هذا اللفظ باق عليكما، جار لا ينقطع منى، بل أنا مراعيه دائما.

وهناك جواب آخر لطيف للسهيلى، هو: أن لبيداً لم يرد إيقاع التسليم عليهم فى حينه، وإنما أراد بعد الحول، ولو قال: ثم السلام عليكما كان مسلما فى وقته الذى نطق فيه بالبيت.

[انظر تفصيل هذا فى: نتائج الفكر ٤٩، بدائع الفوائد ١/ ٢١].

(٣٩) الإغراء فى اصطلاح النحاة هو: تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله، والأصل فيه أن ينصب المُغْرَى به، وأن يتأخر عن عامله المذكور، أو المحذوف جوازا أو وجوبا- على حسب حالاته المذكورة فى كتب النحو-.

أما إذا قدم المغرى به على عامله فإنه لا يكون من الإغراء المصطلح عليه، وإن بقى فيه معنى الإغراء اللغوى، ويرفع فى هذه الحال على إضمار مبتدأ، أو على أنه مبتدأ وما بعده خبر عنه. ويجوز نصبه بعامل محذوف من جنس المذكور بعده، أو ينصب بالعامل المؤخر عنه عند الكسائى والكوفيين.

(٤٠) من مشطور الرجز، لرجل من بنى أسد بن عمرو بن تميم، وقد نسبه الشيخ خالد الأزهرى إلى جارية من بنى مازن- والمائح: هو من ينزل فى البئر إذا قل الماء فيملأ الدلو.

انظر: أوضح المسالك ٤/ ٨٨- شرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٢٨٧- مغنى اللبيب ٦٧٤- الإنصاف: المسألة ٢٧.

(٤١) جواز النصب على تقدير عامل مناسب رأى بصرى، سبقت الإشارة إليه فى التعليقة (٣٩). كما سبق أنه يجوز النصب بالعامل بعده- وإن كان اسم فعل أمر- على مذهب الكسائى والكوفيين.

(٤٢) سبق فى التعليقة (٣٨) أن هذا يُعَدُّ من إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان.

فإن قال قائل: فإن التسمية مصدر؟.

قلت: قد تُوضَعُ المصادر مَوَاضِعَ الأسماء، كما تُوضَعُ الأسماءُ مواضعَ المصادر.

فإن قال: وأين نابت الأسماء عن المصادر؟

قلت: في قول الشاعر:

أَكُفْراً بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي ... وَ بَعْدَ عَطَائِكَ الْمِائَةَ الرِّتَاعَا(٤٣)

يريد: بعد إعطائك.

وقال الآخر:

فَإِنْ يَكُ هَذَا الْبُخْلُ فِيْكَ سَجِيَّةً ... فَقَدْ كُنْتُ فِي طَوْلِي رَجَاءَكَ أَشْعَبَا(٤٤)

يريد: في إطالتي.

وقال الآخر:

أَظَلِيمُ، إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً ... أَعْطَى السَّلاَمَ تَحِيَّةً ظُلْمُ(٤٥)

يريد: إصابتكم.

وقال الآخر:

أَلَمْ تَعْلَمْ مُسَرَّحِيَ الْقَوَافِي ... فَلاَ عِيّاً لَدَيَّ وَ لاَ اجْتِلاَبَا(٤٦)

---

(٤٣) البيت من الوافر، قائله القطامى يمدح زفر بن الحارث الكلابى، والاستفهام فيه للإنكار- والرتاع: الإبل التى أكلت ما شاءت من أرض خصبة حتى سمنت.

انظر: شرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٢٧- الأصول لابن السراج ١/ ٩٣- الخصائص لابن جنى ٢/ ٢٢١- الأمالى الشجرية ٢/ ١٤٢- ديوان القطامى ٣٧.

(٤٤) البيت من الطويل، ولم ينسب إلى قائل.

انظر: تفسير الطبرى ١/ ٥١.

(٤٥) البيت من الكامل، قائله الحارث بن خالد المخزومى، وينسب إلى العرجى، ورواية (أظليم) هى رواية السيرافى، وروى غيره: (أظلوم)، وفى تفسير القرطبى (أسُليم).

انظر: الأصول ١/ ٩٢- شرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٢٧- الأمالى الشجرية ١/ ١٠٧- تفسير القرطبى ١/ ٥٥٦.

(٤٦) البيت من الوافر، قائله جرير بن عطية- ويروى- (فلا عِيّاً بهن).

انظر: ديوانه ٦٢- كتاب سيبويه ١/ ٢٣٣، ٣٣٦- المقتضب ١/ ٧٥، ٢/ ١٢١- الأمالى الشجرية ١/ ٤٢.

وهذا قول من يُوثَقُ به، وهو اختيار المبرد[٤٧].

فإن قال: وكيف كان الاسم قبل دخول الباء؟

قلت: كان فيه أربع لغات[٤٨]: (اِسْمٌ) بكسر الألف، و(أُسْمٌ) بضم الألف، و(سِمٌ) بكسر السين، و(سُمٌ) بضمها، قال الشاعر:

أَللّهُ سَمَّاكَ سُمَاً مُبَارَكَا   آثَرَكَ اللّهُ بِهِ إِيثَارَكَا[٤٩]

وقال:

وَعَامُنَا أَعْجَبَنَا مُقَدَّمُهْ   يُدْعَى أَبَا السَّمْحِ، وَ قِرْضَابٌ سِمُهْ[٥٠]

رَوَاهُ أبو زيد الأنصارى بالضم والكسر[٥١].

فإن قال قائل: لم حذفت الألف في اللفظ؟

قلت: لأن الألف دخلت لِيُوصَلَ بها إلى سكون السين. وكان الخليل[٥٢] - رحمه الله - يُسَمّى هذه الألف (سُلَّمَ اللسان)، فلما دخلت الباء وصلت إلى السين، فاستغنيت عن الألف.

---

(٤٧) انظر: المقتضب ٢/ ١٢١.

(٤٨) انظر هذه اللغات الأربع فى: الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/ ٨٧، وزاد ثعلب لغة خامسة هى سُمىً مثل هدى، واستدل لها بقول الراجز:

والله أسماك سُمىً مباركا   آثرك الله به إيثاركا

وفى الرسالة الكبرى على البسملة عَدَّها الصبان ثمانى عشرة لغة، جمعها فى البيت:

سم، سمة، اسم، سماة، كذا سمى   سماء، بتثليث لأول كلها

(٤٩) رجز، قائله أبو خالد القنانى- وهمزة لفظ الجلالة فى صدر البيت همزة قطع- على هذه الرواية- ويروى: والله. انظر : الإنصاف المسألة (١٥)- أوضح المسالك ١/ ٢٥- الدر المصون ١/ ٢١- تفسير القرطبى ١/ ٨٧.

(٥٠) رجز، غير منسوب- وقرضاب: من قرضب الرجل: إذا أكل شيئا يابسا. يريد: أنهم خُدِعُوا بأول العام، ثم فوجئوا بأنه عام جدب.

انظر: تفسير القرطبى ١/ ٨٧- الطارقية لابن خالويه ٦٥- الدر المصون ١/ ٢٠- شرح المفصل لابن يعيش ١/ ٢٤- لسان العرب (لحم).

(٥١) انظر: نوادر أبى زيد ١٦٦.

(٥٢) هو: الخليل بن أحمد الفراهيدى، شيخ سيبويه، وأول من اخترع علم العروض، أشهر مؤلفاته كتاب العين، توفى سنة ١٧٠هـ.

فإن قال قائل: ولِمَ حذفت الألف في الخط في ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ دون سائر المواضع؟

قلت: لأن هذا كَثُرَ في كلامهم جِداً، فيقال عند كل قيام وقعود وأكل وشُرْبٍ وأَخْذٍ في حال: بسم الله، فلما كثر اسْتَخَفُّوا طَرْحَ الألف، لأن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نَحْوٌ ليس لغيره(٥٣).

وقال سيبويه(٥٤): العرب تقول: لاَ أَدْرِ - فيحذفون الياء - والوجه: لاَ أَدْرِي؛ لأنه رفع.

ويقولون: لَـمْ أُبَلْ - فيحذفون الألف - والوجه: لَـمْ أُبَالِ.

ويقولون: لَـمْ أَكُ - فيحذفون النون، وكان ذلك استخفافاً يفعلونه؛ لكثرة استعماله في كلامهم.

هذا قول الأَخْفَش(٥٥) والجَرْمِيّ والمبرد والكسائيّ(٥٦) والفَرَّاء(٥٧)، ثم انفرد الأَخْفَشُ، فقال: حذفت الألف من الخط لما وصلت إلى السين بالباء، فَأَلْزَمَهُ الفراء قولهم: وَ اضْـرِبْ زَيْـداً - بالألف - وقد وُصِلَ إلى الضاد بالواو، ولم يحذفوا الألف(٥٨).

وهذا لا يلزم الأخفش؛ لأنه قد اجتمع في الكلمة - مع كثرة الاستعمال - وُصُولُ

---

(٥٣) ويرى بعضهم أن الألف حذفت من الخط فى (بسم الله)؛ ليوافق اللفظ الخط.

انظر: الدر المصون ١/ ٢١.

(٥٤) انظر: كتاب سيبويه ١/ ٢٦٦، ٤/ ٤٠٥ - والنقل هنا بتصرف.

(٥٥) هو: سعيد بن مسعدة المجاشعى، قرأ على سيبويه، وكان أسن منه ، ومن أشهر مؤلفاته معانى القرآن، توفى سنة ٢١٥هـ.

(٥٦) هو: على بن حمزة، أحد القراء السبعة، وإمام أهل الكوفة فى النحو، توفى سنة ١٨٩هـ..

(٥٧) هو: يحيى بن زياد بن عبد الله، أخذ عن الكسائى، وكان أبرع الكوفيين، من أشهر مؤلفاته معانى القرآن، توفى سنة ٢٠٧ هـ.

(٥٨) جاء فى معانى القرآن للفراء [١/ ٢]: فإن قال قائل: إنما حذفنا الألف من (بسم الله)؛ لأن الباء لا يسكت عليها، فيجوز ابتداء الاسم بعدها، قيل له: فقد كتبت العرب فى المصاحف: ﴿وَاضْـرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً﴾ بالألف، والواو لا يسكت عليها، فى كثير من أشباهه، فهذا يبطل مَا ادَّعَى.

الباء بالسين واتِّصالُها بها ، فقَوَّى أيضاً بهذا كَثْرَةَ الاستعمال وصُوُلُ الباء بالسين[٥٩].

ثم اتَّفَقُوا أنهم لا يحذفون الألف مع شَيْءٍ من أسماء الله عَزَّ وَ جَلَّ، إلا مع الله عَزَّ وجل، فإذا قالوا: اقْرأْ باسم ربك، وباسم الواحد، وباسم الأحد – وما أشبهه – أثبتوا الألف؛ لأنه لم يكثر في هذه المواضع[٦٠].

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيٰهاَ وَ مُرْسَـٰهَا﴾[٦١] فقال الكِسَائِيُّ: إن شئت أَثْبَتَّ الألفَ، وإن شئت حذفت: فمن أثبت قال: هو مع اسم الله، وليس معه (الرحمن الرحيم)، وإنما حذفت إذا كانا معه، فأثبت لذلك. ومن حذف قال: لَمَّا وَجَدْتُّ لفظ (بسم الله) وهو الذى يكثر استعماله حَذَفْتُ.

فإن قال: فَلِمَ سَكَنَت السين على لغة من يقول: سُمٌ؟ ولم أُدْخِلَت الألف والسِّينُ متحركةٌ؟

قلت: من كانت لغته (سُمٌ) لم يُدْخِلْ الألف، ولم يُحْتَجْ إلى الاعتذار في إسقاط الألف، وإنما سكن لاجتماع كسرتين، أو كسرة وضمة، كما قالوا في إِبِل: إِبْل، وحُلُم: حُلْم[٦٢].

فإن قال: ولِمَ وَجَبَ دخولُ ألف الوصل في (اسم)، وموضع ألفات الوصل الأفعال؟

---

(٥٩) ذكر رأيين هنا لحذف الألف من الخط فى (بسم الله)، وبقى رأيان آخران: أحدهما للأخفش، وهو أنها حذفت لأنها ليست من اللفظ. والآخر أن الأصل هو سِمٌ (بضم السين وكسرها)، ثم دخلت الباء فصارت (بسم)، ثم حذفت الكسرة أو الضمة، فعلى هذا القول لم يكن فيه ألف قَطُّ.

انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٦٧.

(٦٠) ما زعمه من الاتفاق هنا غير ثابت، فقد أجاز الكسائى والأخفش حذف الألف إذا أضيفت إلى لفظ الجلالة من أسمائه تعالى، نحو: بسم ربك، وبسم الخالق.

انظر: الدر المصون ١/ ٢١.

(٦١) الآية ٤١ من سورة هود.

(٦٢) انظر التعليقة (٥٩).

ففى ذلك جوابان:

قال الحارثيُّ: أعنى سِيبَويْهِ - لَمْ تَخْلُ الأسماء من ألف الوصل، كما لم تَخْلُ الأفعالُ من الإضافة إليها[٦٣].

ومعنى كلامه: أن أصل الإضافة للأسماء، وأصل ألفات الوصل للأفعال، فلما أضافوا أسماء الزمان إلى الأفعال في قولهم: هذا يوم يقوم عمرو، وفي قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[٦٤]، فدخل الأفعال ما للأسماء - كذلك أدخلوا ألفات الوصل في ثمانية أسماء؛ لِعِلَلٍ تراها في هذا الموضع إن شاء الله. فحملوا الأسماء على الأفعال في زيادة الألف، كما حملوا الأفعال على الأسماء في الإضافة؛ ألا ترى أنهم أعربوا الأفعال[٦٥]؛ لوقوعها موقع الأسماء، ومضارعتها لها؛ وأعملوا الأسماء إذا وقعت موقع الأفعال[٦٦]، في قولهم: هذا ضاربٌ عَمْراً، معناه: هذا يضرب عَمْراً، فحملوا الأسماء على الأفعال، كما حملوا الأفعال على الأسماء في الإعراب. وهذا كثير، قد بيَّنَّاهُ في موضعٍ آخَرَ.

والوجه الثانى في دخول الألف: أن قولك: (اسم) محذوف من آخره، فلما حذف من آخره أرادوا العِوَضَ من المحذوف، فلم يتمكنوا أن يعوضوا منه آخراً، فَعَوَّضُوا أَوَّلاً، وسكنوا السين؛ لِيَسُوغَ دخول الألف. والعِوَضُ في كلامهم كثير؛ ألا ترى أنهم

(٦٣) نص عبارة سيبويه في باب ما يضاف إلى الأفعال من الأسماء [٣/ ١١٧]: «يضاف إليها أسماء الدهر، وذلك قولك: هذا يوم يقوم زيد... وتوسعوا بذلك فى الدهر؛ لكثرته فى كلامهم، فلم يخرجوا الفعل من هذا، كما لم يخرجوا الأسماء من ألف الوصل، نحو ابن، وإنما أصله للفعل وتصريفه».

(٦٤) الآية ١١٩ من سورة المائدة.

(٦٥) يقصد: الفعل المضارع الذى لم يباشر نون التوكيد أو نون النسوة، وماذكره من أن علة إعرابه هى وقوعه موقع الاسم علة بصرية، ويرى الكسائى أنه يرتفع بالزوائد فى أوله، ويرى أكثر الكوفيين أنه يرتفع لتعريه من عوامل النصب والجزم.

انظر ذلك وتفصيله فى: الإنصاف المسألة ٧٤.

(٦٦) يقصد أسماء الفاعلين والمفعولين والصفة المشبهة وبعض المصادر، وهى كلها تعمل عمل الفعل بشروط خاصة مذكورة فى مواطنها من كتب النحو.

يقولون: زنادقة وزناديق[٦٧]، وفرازنة وفرازين[٦٨] - فيعوضون الياء من الهاء[٦٩]. وقولهم: (اللَّهُمَّ) عوضوا الميم من (يا) في أول الكلام[٧٠] - ومِثْلُهُ كثيرٌ حكاه سيبويه وغيره من النحويين.

فإن قال: وما الحاجة والضرورة إلى الحذف آخراً، والزيادةِ أوَّلاً؟

قلت: لا يكون المحذوف من هذه الأسماء إلا واواً أو ياءً، والواو والياء يستثقلان إذا كانا طَرَفاً؛ لأنه لا يدخلهما الإعراب، فثقلت عليهما الحركات؛ لذا إذا فتح ما قبلهما صارا ألفاً، ألا ترى أنه ليس في كلامهم اسم[٧١] آخره واوٌ قبلها حركة ضَمّ استثقالاً، حتى قالوا في جمع دَلْو: أَدْلٍ[٧٢]. وخففوا حتى قلبوا الواو ياء كما ذكرنا.

فلما حذف من آخر (اسم) حرف أشبه الأفعال في الحذف، في قولهم: لَمْ أَكُ، ولَمْ أَدْرِ، ولَمْ أَدْعُ[٧٣] وما أشبهه. فلما ضارع الاسْمُ الأفعالَ في باب الحذف آخراً، ضارعه في باب الزيادة أوَّلاً. وهذا قول الخليل.

فإن قال قائل: وما المحذوف من (اسم)؟

(٦٧) الزِّنْدِيقُ: هو الذى لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق، بل يقول ببقاء الدهر. وهذه الكلمة فارسية معربة. وكانت العرب تقول فيه: ملحد ودهرى. أما المستعمل عند العرب من هذه المادة فهو: رجل زندق وزندقى: إذا كان شديد البخل.

(٦٨) الفِرزَان: من لُعَب الشطرنج، أعجمى مُعَرَّب.

(٦٩) قال سيبويه: «الهاء فى زنادقة وفرازنة عوض من الياء فى زنديق وفرزين، وأصله: الزناديق».

(٧٠) وأصله (ياالله)، وهذا رأى البصريين، ويرى الكوفيون أن الميم بعض جملة حذفت للتخفيف بكثرة الاستعمال، وأصله عندهم: ياالله أمنا بخير، أى اقصدنا به.

انظر: باب المنادى فى كتب النحو.

(٧١) يقصد: اسما عربيا (غير أعجمى) معربا (غير مبنى).

(٧٢) الدلو: إناء يستسقى به، ويجمع على أَفْعُلٍ جمع قلة فيقال: أَدْلٍ، وأصله أَدْلُوٌ - ليس فى العربية اسم معرب آخره واو قبلها ضمة إلا يجب قلب الواو ياء والضمة كسرة، فيصير أَدْلِي، ثم يُعَلُّ بحذف الياء.

انظر مواضع قلب الواو ياء فى باب الإعلال والإبدال من كتب الصرف.

(٧٣) الحذف فى (لم أَكُ) للتخفيف، وأصله لم أكن. والحذف فى (لم أَدْرِ) للجزم، وأصله لم أَدرِى. والحذف فى (لم أَدْعُ) للجزم أيضا، وأصله لم أدْعُو.

قلت: المحذوف الـواو في قول البصريين: المازنى [٧٤] والمبرد وغيرهما، وذكر أنـه كان (سِمْوٌ) على مثال فِعْل مثل (قِنْو)؛ والـدليل على ذلك (أسماء)، كما قالوا: حِنْوٌ وأحناء، وقِنْوٌ وأقناء [٧٥] ، ومثله من الصحيح: حِمْلٌ وأحْمَال.

فإن قال قائل: وما الدليل على قولهم في حذف الواو؟ وما الفرق بينهم وبين قَائِلٍ أنَّ المحذوفَ الياءُ؟

قلت: الدليـل على قولهم أن أكثر مـا جاء من هـذه المحذوفـات التى دليلها بَيِّنٌ الواو في قولهم: أَخٌ وأَبٌ، فـا لمحذوف الواو، يَدُلُّكَ على ذلك: أَبَـوَان وأَخَوَان، فدليل الواو بَيِّنٌ فيهما، فحملت الاسم عليهما، وجعلت المحذوف وَاواً.

ودليلٌ آخَـر: أن الواو أثقل من اليـاء - كما ذكرنـا آنِفاً - وقد تجد في أسمائهـم ما آخِرُهُ يَاءٌ قبلها حركة، ولا تجد في الواو ذلك.

فإن قال: إذا زعمت أنـك أدخلت الألف في (اسم) لم حذفت الـواو من آخره؟ فَألا [٧٦] أدخلت الألف في أول (أخ وأب) وقد حذفت من آخرهما واواً؟

قلت: كان يجب في القياس ذلك، ولكن في أول (أب وأخ) همزة، فلو أدخلوا همزة أخـرى اجتمع همزتـان، والعـرب لا تجمع بين همزتين، ألا تـراهم يقــولـون: آدم، والأصل: أَأْدَمُ، فقلبوا الهمزة الثانية، فكذلك استثقلوا إدخال الهمزة على (أخ وأب)؛ لما ذكرنا. وهذا قول أبى عَلِيٍّ قُطْرُبٍ [٧٧] والمبرد.

فإن قال قائل: فما وزن (اسم) من الفعل [٧٨]؟

---

(٧٤) هو: أبو عثمان بكر بن محمـد بن عثمان، من البصريين، قرأ على الأخفش، وروى عن أبى عبيدة والأصمعى، من أشهر مؤلفاته كتاب التصريف الملوكى، توفى سنة ٢٣٦هـ.

(٧٥) الحِنْوُ: الجانب. والقِنْوُ: العِذْق بما فيه من الرطب، وجمع القنو: أقناء وقنوان.

(٧٦) كذا- بتقديم فاء العطف على همزة الاستفهام والمشهور عكسه، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [الآية ٨٩ من سورة طه]. وسيكرر الزجاج هذا الاستعمال مرة أخرى.

(٧٧) هو: أبو على محمد بن المستنير، أخذ النحو عن سيبويه، ومن أشهر مؤلفاته المثلثات، توفى سنة ٢٠٦هـ.

(٧٨) يريد: وزنه من حروف (فعل) الذى اصطلح الصرفيون على أن يجعلوه ميزاناً للكلمات.

قلت: وزنه (فِعْل)[٧٩] مثل جِذْع؛ لأنه كان في الأصل (سِمْـوٌ) فحذفوا الواو؛ لما ذكرنا.

فإن قال: وما اشتقاق (اسم)؟ ومن أيِّ شيء أُخِذَ؟

ففي ذلك ثلاثة[٨٠] أقوال:

قال بعض النحـويين: (اسم) بُنِيَ من الأمر، من قول القائل: اِسْمِ فـلاناً، كما أن (الابن) مَبْنِيٌّ من قول القائل: ابْنِ البناء يارجل.

وقال آخرون: هو مأخوذ من السِّمَة، والسِّمَـة هى العلامة، وكأنه علامة المُسَمَّى به، وهو من (وَسَمْتُ).

وهذان القولان لا أعرف معناهما.

والقول الثـالـث: قال أبـو إسحاق: الاسم مشتق من (السُّمُـوّ) - وهو الـرفعة - والاسم ثبوتـه بالدلالة على المعنى. وقـولك: سَمَّيْتُ الرجل أى رفعت ذِكْرَهُ؛ ليعـرفه المخاطب.

ويقال لمن زعم أنه من (وَسَمْتُ): هل رأيت مصدراً لفعل معتلٍّ فَاؤُهُ وَاوٌ يدخله ألف وصل، في مثل قولك: وَعَـدَ عِدَةً، وَوَزَنَ زِنَةً؟ فأنت لا تقول في هـذا: اعْدِ، كما تقول: اسْمٍ، فإبطال دخول الألف عليه ينقض ما ادَّعَاه.

وعِلَّةٌ أخـرى: أنه لو كان كما ذكـر ، لوجب إذا صغرت اسمـاً أن تقول: وُسَيْمٌ، كمـا تقول إذا صـغرت عـدة: وُعَيْدة، وهذا لا يقوله أحـد. قـال أبو إسحاق: وهذا لا يكون غَيْرُهُ.

---

(٧٩) هذا تَسَمُّحٌ منـه فى الوزن، مراعاة لأصله، وإلا فـالمعروف عند الصرفيين أن الحذف يراعـى فى الميزان، فيحذف نظيره منه، فكان عليه أن يزنه (افْعٌ).

(٨٠) المشهور أنهما قـولان فقط: أحداهما أنـه مأخوذ من الوسـم بمعنى العلامة - وهـو رأى الكوفيين - والثـانى أنه مأخـوذ من السمو بمعنى الارتفـاع. وأما الـرأى الثالث- الـذى ذكره هنـا أولا فى قولـه: قال بعض النحـويين، فغير مشهور، ويمكن رده إلى رأى البصريين أو الكوفيين.

انظر الخلاف وتفاصيله فى: المسألة الأولى من كتاب الإنصاف، وفى: الدر المصون للسمين الحلبى ١/ ١٩ وما بعدها.

فإن قال قائل: فما موضع الباء من الإعراب؟

ففي ذلك ثلاثة أقوال:

قال الكسائي: لا موضع لها؛ لأنها حرف، والحروف لا تعرب.

وقال البصريون - المبرد ومَنْ قَبْلَهُ-: الباء في موضع النصب[٨١]؛ لأن معنى الكلام: أبدأ بسم الله، فهذا الفعل المقدر لابُدَّ له من مفعول، فلما منعت الباء الفعل من التعدى تضمنت موضع التعدى. قال الخليل بن أحمد في قولهم: مررت بزيد، معناه: جُزْتُ زَيْداً. فهذا يُوضِحُ ما قال المبرد وأصحابه.

وأجاز الكسائي أيْضاً: مررت بِزَيْدٍ وعَمْراً، يعطف على موضع الباء، وأنشد:

مُعَاوِي إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ ... فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلاَ الْحدِيَدا[٨٢]

عطف (الحديدَ) على موضع الباء، وأنشد أيضا:

جِئْنِي بِمِثْلِ بَنِي بَدْرٍ لِقَوْمِهِمُ ... أَوَ مِثْلِ أُسْرَةِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَّار[٨٣]

وأنشد:

أَعِنِّي بِخَوَّار العنان تَخَالُهُ ... إِذَا رَاحَ يَرْدِي بالْمُدَجَّجِ أَحْرَدَا[٨٤]

وَ أَبْيَضَ مَصْقُولِ السِّطَامِ مُهَنَّداً ... وَ ذَا خَلَقٍ مِنْ نَسْجِ داود مِسْرَدَا

(٨١) ينسب هذا أيضا إلى الفراء، ففي الطارقية ٦٢: وقال الفراء: موضع الباء نصب على تقدير: أقول: بسم الله، أو: قل: بسم الله. وانظر: القرطبي ١/ ٨٦، والدر المصون ١/ ٢٣.

(٨٢) البيت من الوافر، قائله عقيبة بن هبيرة الأسدي، يخاطب معاوية بن أبي سفيان- والقصيدة مجرورة القوافي، والنحاة ينشدون البيت بالنصب (الحديدا). قال الأعلم: يجوز أن يكون الذي أنشده رده إلى لغته فقبله منه سيبويه منصوبا، فيكون الاحتجاج بلغة المنشد لا بلغة القائل.

انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٤٨- المقتضب ٢/ ٣٣٨، ٤/ ١١٢، ٣٧١- شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٢٥٤.

(٨٣) البيت من البسيط، قائله جرير بن عطية.

انظر: ديوانه ٣١٢- كتاب سيبويه ١/ ٩٤، ١٧٠ - المقتضب ٣/ ١٥٣- المحتسب ٢/ ٧٨.

فلو لم يكن للباء موضع ما عطفت عليه هذه - وهذا كثير قد ذكرناه.

وقال آخرون[٨٥]: موضع الباء رفع، ومعناه: أول ابتدائى بسم الله، واحتجوا بقوله سبحانه: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[٨٦]. قالوا: معناه: كفى الله شهيداً.

وهذا بعيد. والقول ما قاله الخليل وأصحابه - وقد ذكرناه - فاعرفه إن شاء الله.

فإن قال قائل: فما ذَكَرَ غَيْرُهُ؟ وذلك أنه قال بعضهم: بعض العرب يقول: بدأت ببسم الله، وبدأت بأَنْ بسم الله، فَلِمَ أدخل الباء على الباء الزائدة؟

قلت: لما كانت الباء تلزم هذا الموضع ولا تفارقه، ثم كثر هذا الحرف جِدًّا، قَدَّرَ قَائِلُ هذا أن الباء من نفس الحرف، فأدخل عليها باء أخرى، والعرب تقول هذا، أنشد الفراء في هذا المعنى:

لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كُلَّ لَدِّ ... فمجُّوا النُّصْحَ ثُمَّ ثَنَوْا فَقَاءُوا[٨٧]

فَلاَ وَ اللَّهِ لاَ يُلْفَى لِمَا بِي ... وَلاَ لِلِمَا بِهِمْ أَبَداً دَوَاء

أدخل اللام على اللام؛ كما ذكرنا. وأنشد أيضا:

---

(٨٤) البيتان من الطويل، قائلهما كعب بن جعيل التغلبى - وخَوَّار العنان: فرس منقاد، والخوّار: الضعيف اللين. ويردى: من الرديان، وهو أن يضرب بيديه عند السير ضرْباً؛ لمرحه. والمدجج: لابس السلاح. والأحرد: الذى يميل بيديه عن القصد؛ لمرحه. والأبيض: السيف. والسطام: حد السيف. والمهند: المنسوب إلى الهند. والحلق: الدرع، ونسبها إلى داود؛ لأنه أول من عمل الدروع. والمسرد: المتتابع النظم.

انظر سيبويه ١/ ١٧٠.

(٨٥) هم البصريون، كما فى الطارقية ٦٢.

(٨٦) الآية ٤٣ من سورة الرعد. والباء فى لفظ الجلالة صلة زائدة فى فاعل كفى.

والاحتجاج بهذه الآية لا يستقيم مع البسملة، إلا على تقدير الباء زائدة فيها، ومدخولها مجرور لفظا مرفوع محلا على أنه مبتدأ مؤخر أو خبر عما قبله،فيكون التقدير: أول ابتدائى اسم الله؛ ولذا قال الزجاج: وهو بعيد.

(٨٧) البيتان من الوافر، قائلهما مسلم بن معبد الوالبى - ولددتهم بمعنى: ألزمتهم. يقول: ألزمهتم النصيحة كل الإلزام، فلم يقبلوا، ولا يوجد شفاء لما بى من الكدر، ولا لما بهم من الحسد. ويروى عجز البيت الثانى: (وما بهم من البلوى دواء) ولا شاهد فيه حينئذ.

انظر: معانى القرآن للفراء ١/ ٦٨ - المحتسب ٢/ ٢٥٦ - الخصائص ٢/ ٢٨٢ - التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ١٣٠.

فَـلَئِنْ قَـوْمٌ أَصَـابُوا غِرَّةً   وَ أَصَبْنَا مِنْ زَمَـانٍ رَنَقَا[88]
لَلَقَـدْ كَانُوا عَلَى أَزْمَانِـهِمْ   بِصَـــنِيعَيْنِ: لِبَـأْسٍ وَ تُقَى

فأدخل اللام على اللام، كما ترى.

وأما قـولهم: بدأت بِأَنْ بسم الله، فإن معنـاه: أبدأ بِأَنْ أقـول: بسم الله، فأضمرت القول، وإضمار القول كثير في القرآن وفي الشعـر، إذا كان في الكلام دليل. من ذلك قوله جَلَّ اسمـه: ﴿وَ الْـمَلَـٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِـمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾[89] المعنى: يقولون: سلام، ومثله كثير.

فإن قال قائل: وكم اسماً تدخله ألف الوصل؟

قلت: ثمانية[90] أسماء، وهي : ابن وابنة واسم واسْت واثنان واثنتان وامرؤ وامرأة.

ولا تدخل ألف الـوصل إلاّ على اسم قد حذف منه شيء، فتعـوض منه الألف، ولا يكون المحذوف إلا حَرْفَ لِينٍ - نحو الياء والواو - أو حرفاً مهموساً - نحو الهاء - فا لمحذوف من (اسْت) هاء، وذلك على فَعَل[91]. الدليل على ذلك قولهم: أَسْتَاهٌ وسُتَيْهَةٌ، ترجـع الهاء، ومنه قول على رضى الله عنه: العَيْنَـانِ وِكَاءُ السَّتَه[92] - يريد الاست، وقال الشاعر:

(٨٨) البيتان من الرمل، ولم يُدْرَ لهما قائل، ويرويان:

فلئن يوما أصـابوا عزة   وأصـبنا من زمـان رنقا
فلقد كانوا لدى أزمـاننا   لصنيعين: لبأس وتقى

والبصريون يروونه: (فلقد كانوا)، ولا شاهد فيه حينئذ.

انظر: الدرر اللوامع ١/ ١١٧. همع الهوامع ٢/ ١٧٦.

(٨٩) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة الرعد.

(٩٠) عَدَّها ثمانية، وجعلها غيره عشرة أسماء بزيادة (ابْنُمٌ) - بمعنى ابن - و (اَيْمُنٌ) فى القسم.

انظر: الدر المصون ١/ ٢١- رصف المباني- سر صناعة الإعراب ١/ ١١٥.

(٩١) فى لسان العرب (سته): ولا يجوز أن يكون مثل جذع وقفل، اللذين يجمعـان على أفعال أيضا؛ لأنك إذا أردت الهاء التى هى لام الفعل وحذفت العين قلت: سه (بالفتح).

(٩٢) يروى الحديث عن على ومعاوية برواية: "العين وكاء السه، فإذا نام أحدكم فليتوضأ".

انظر: سنن ابن ماجة ١/ ١٦١ (طهارة ٦٢)- سنـن أبى داود ١/ ٤٦ (طهارة ٧٩)- لسان العرب (سته)- النكت فى تفسير كتاب سيبويه ٢/ ٩٣٠.

أُدْعُ أُحَيْحاً باسْمِه، لاَ تَنْسَهْ   إن أُحَيْحاً هي صِئْبَانُ السَّهْ[٩٣]

والمحذوف من الأسماء الأُخَرِ ياءٌ أو وَاوٌ، وليس هذا موضع ذكرها.

فإن قيل: فَلِمَ عُوِّضَتْ الألف من حروف المعجم؟

قلت: أَوْلَى الحروف بالزيادة حُرُوفُ المدِّ واللين - وهي الياء والواو والألف - لأنها تقع في الهمز والمدّ، فلا يكون الإعراب إلا بواحد منهن أو بعضهن وبعض حركاتهن. والواو لا تزادأوّلاً في هذا الموضع، وكذلك الياء - لِعِلَلٍ تراها بَعْدُ - فزادوا أَلِفاً، والألف لا تكون إلا ساكنة، وليس في كلام العرب ألف أَصْلِيٌ - كما مَرَّ بِنَا الكلام - ولا تكون الألف إلا زائدة أو مبدلة:

فالزائدة في قولك: ضارب وذاهب، وما أشبهه.

والمبدلة في قولك: قال وباع؛ لأنه من (قَوْلٍ وبَيْعٍ).

فلما وجدوا الألف ساكنة - ولا يُبتدأ بساكن - ووجدوا السين بعدها ساكنة، حَرَّكُوا الألف، والألفُ إذا تحركت صارت همزة؛ لِقُرْبِ مخرجها منها.

فإن قال: ولم سَمَّيْتَها ألفا وهي همزة؟

قلت: لما كانت الهمزة لا تُصَوَّرُ أَبَداً إلا بصورة الألف سميتها ألفاً، وليست الألف كالهمزة؛ لأن الهمزة تكون فاء من الفعل، في قولك: أَخَذَ، وعَيْناً في قولك: سَأَلَ ، ولاَماً في قولك: قَرَأَ - وليست الألف كذلك؛ ألا ترى أن المجزوم تحذف ألفه في قولك: لم يَسْعَ، ولم يَخْشَ. والمهموز إذا كان مجزوماً سكنت همزته في قولك: لم يَقْرَأْ، ولم يَخْبَأْ. فالهمزة حرف صحيح كأحد حروف المعجم.

فإن قال قائل: فَلِمَ زيدت ألف الوصل في (أُوْمُرْ)، وفي قولك أُمْرُؤٌ، ولم يحذف من آخره شيء من ذلك؟

---

(٩٣) من الرجز، ولم يعرف قائله. ويروى: (إن عبيدا)، (وإن فعيلا)- والصئبان: جمع صؤاب، وهو بيض البرغوث والقمل. يريد: إنهم في الدناءة والخسة كصؤاب الاست .

انظر: المقتضب ١/ ٣٣، ٢٣٣- المنصف ١/ ٦٢- لسان العرب (سته)- النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢/ ٩٣٠.

ففي ذلك جوابان:

أحدهما: أن الهمزة لا تثبت على حالة واحـدة، فتكون في الرفع واواً إذا قلت: هذا امــرؤ. وفي النصب ألفـاً، إذا قلـت: رأيت امْـرَأً. وفي الجر يــاء، إذا قلت: مــررت بِامْرِئٍ. وإذا خففتها حذفتها، وألقيت حركتها على ما قبلها، فصارت بمنزلة حرف لا يُعَوَّلُ عليه، بخلاف الألف.

قال المبرد[٩٤]: لما كـان قـولك: (امْـرُؤٌ) لا يقـوم بنفسـه - حتى أضيف إلى غيره فتقول: هـذا امْرُؤُ سَوْءٍ - أشبه الأفعـال؛ إذْ كانت تحتاج إلى فاعل، فأدخلـوا عليها ألف الوصل، فقالوا: هذا امْرُؤٌ، وامْرَأَةٌ. وهذا مَرْءٌ، ومَرْأَةٌ. قال جَلَّ اسْمُهُ: ﴿بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[٩٥] و﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾[٩٦]، وقال الشاعر:

إِذَا الْمَرْئِيُّ شَبَّ لَـــــهُ بَنَاتٌ   عَصَبْنَ بِرَأْسِهِ إِبَةً وعَارَا[٩٧]

قال الفراء: ومن العـرب من يقول: هذا امْرَؤٌ - فيفتح الـراء على كل حال[٩٨]، وأنشد:

بِأَبِي امْرَؤٌ وَ الشَّامُ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ   أَتَتْنِي بِبُشْرَى بُرْدُهُ وَرَسَائِلُهْ[٩٩]

---

(٩٤) نص عبـارة المبرد في المقتضب ١/ ٢٢٨: « فإن قلت: امـرؤ لم ينقص منه شيء، فما بال ألف الـوصل لحقته ؟ فإنما ذاك لتغيره في اتباع ما قبل آخره من أجل الهمزة التي يجوز تخفيفهـا. والدليل على ذلك انتقاله من حال إلى حال؛ ألا ترى أنك تقـول، هذا امـرؤ فاعلم، وهـذا مرء فـاعلم، كما قال عـز وجل: ﴿ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، وتقول في مؤنثه: امرأة ومرأة ، فإنما لحقت ألف الوصل هذا الاسم لهذا الانتقال والتغيير اللذين ذكرتهما لك ».

(٩٥) الآية ٢٤ من سورة الأنفال.

(٩٦) الآية ١٧٦ من سورة النساء.

(٩٧) البيت من الوافر، قـائله ذو الرمة يهجو رجـلا كان يعاديه يسمى امرأ القيس- والإبة: العيب. ويروى البيت: (عقدن برأسه).

انظر: ديوانه ٢٠٠- التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ٣٣٢- لسان العرب (وأب).

(٩٨) انظر: لسان العرب (مرأ).

(٩٩) البيت من الطويل.

انظر لسان العرب (مرأ).

وفيه لغات غير ما ذكرنا[١٠٠]، تراها في موضع آخر، إن شاء الله تعالى.

ومن الدليل على أن الزائد ألف وليست همزة: ذَهابُهُ في الوصل إذا قلت: هذا اسْمٌ وهذا ابْنٌ. وقد يجوز إذا اضْطُرَّ الشاعر إلى استقامة وزن البيت أن يقطع الألف ضرورةً - لا اختياراً - قال الشاعر:

وَمَا أَنَا بِالْـمَخْسُوسِ فِي جِذْمِ مَالِكٍ ... وَلاَ مَنْ تَسَمَّى، ثُمَّ يَلْتَزِمُ الإِسْمَا[١٠١]

فقطع الألف، كما قال الآخر:

أَلاَ لاَ أَرَى إِثْنَيْنِ أَحْسَنَ شِيمَةً ... عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي ومِنْ جُمْلِ[١٠٢]

وقال آخر:

يَانَفْسُ: صَبْراً؛ كُلُّ حَيٍّ لاَقِ ... وكُلُّ إِثْنَيْنِ إلى افْتِرَاقِ[١٠٣]

ومِثْلُه كثيرٌ.

فإن اعترض معترضٌ فيما قلناه آنِفاً من أمر الهمزة والألف، فقال: لِمَ جَعَلَ واضع حروف العربية الهمزة أولاً[١٠٤]؟ وهل هي همزة أو ألف؟ قلت: هي همزة، والدليل على ذلك أنه قد أتى بألف بعدها.

(١٠٠) انظر لسان العرب (مرا).

(١٠١) البيت من الطويل، قائله الأحوص- والمخسوس: المرذول، وجِذْمُ الشيء: أصله.

انظر: ديوانه ١٩٣- تفسير القرطبي ١/ ١٠٠- الدر المصون ١/ ٢١- لسان العرب (سما).

(١٠٢) البيت من الطويل، قائله جميل بثينة.

انظر: نوادر أبي زيد ٢٠٤- المحتسب ١/ ٢٤٨- شرح المفصل لابن يعيش ٩/ ١٩- التصريح على التوضيح ٢/ ٣٦٦.

(١٠٣) رجز، مجهول القائل.

انظر: همع الهوامع ٥/ ٣٤٣- الخصائص ٢/ ٤٧٥- المحتسب ١/ ٢٤٨.

(١٠٤) لم يُجِبْ الزجاج عن هذا السؤال. والجواب ذكره ابن جني في سر صناعة الإعراب (١/ ١١٣). فقال: « إنهم إنما أرادوا حرفاً يتبلغ به في الابتداء، ويحذف في الوصل للاستغناء عنه بما قبله، فلما اعتزموا على حرف يمكن حذفه واطراحه مع الغنى عنه جعلوه الهمزة؛ لأن العادة فيها - في أكثر الأحوال- حذفها للتخفيف، وهي مع ذلك أصل، فكيف بها إذا كانت زائدة..... ولو أنهم زادوا في مكانها غيرها لما أمكن حذفه؛ لأنه لم يحذف غيرها من الحروف كما حذفت هي ».

فإن قال: (العَيْنُ)[١٠٥] وضع أَوَّلاً ما كان على ثلاثة أحرف على صورة واحدة، ثم ذكر المفردات، فَأَلاَّ[١٠٦] ذكر الهمزة مع المفردات، ولم يجعلها أولاً: إِذْ لا صُورَة لها؟

قلت: الهمزة لها ثلاث صور، وأربعة أحكام:

أما صورتها: فتكون إذا انفتح ما قبلها أَلِفاً[١٠٧]. وإذا انضم ما قبلها واواً[١٠٨]. وإذا انكسر ما قبلها ياءً[١٠٩].

وتكون محققةً وَمُلَيَّنَةً ومقلوبةً ومحذوفةً[١١٠].

فلما كانت لها هذه الصور وهذه الأحوال، كانت أكثر من الثلاثى، فجعلها أَوَّلاً.

فإن قال: هل تَبْنِى من (بِسْمِ) فِعْلاً؟

قلت: لَـمْ تَبْنِهِ العرب، ولا تكلمت به، إلا أن بعض النحويين ذكر أنه يقال: بَسْمَلْتُ أُبَسْمِلُ بَسْمَلَةً. وهذا قاله قياساً، لا سماعاً[١١١].

فإن قال: لِـمَ أثْبَتَّ الألفَ في الكتاب في قولك: اقْرَأْ بِاسْمِ، وليس في اللفظ ألف؟

---

(١٠٥) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدى.

(١٠٦) انظر التعليقة (٧٦).

(١٠٧) مثل: قرأ، وسأل.

(١٠٨) مثل: بطؤ، ووضؤ.

(١٠٩) مثل: بَرِئَ، وَوَطِئَ.

(١١٠) المحققة مثل: قرأ وأخذ وسأل. والملينة مثل: فاس وبير (فى فأس وبئر). والمقلوبة مثل: قام وباع وآمن (وأصلها: قوم، بيع، أأمن). والمحذوفة مثل: لم يقم، ولم يرض.

(١١١) بسمل يبسمل بسملة من باب النحت، أى إنهم يأخذون اسمين فينحتون منها لفظا واحدا، وهو غير مقيس- كما قال الزجاج- فلا جرم أن بعضهم قال فى بسمل وهيلل: إنها لغة مولدة، وقد جاءت فى الشعر فى قول عمر بن أبى ربيعة:

لقدبسملت ليلى غداة لقيتها … ألا حبذا ذاك الحديث المبسمل

وغير الزجاج من أهل اللغة نقلها ولم يقل: إنها مولدة، ومنهم ثعلب والمطرز.

انظر: الدر المصون ١/ ١٣- لسان العرب (بسمل).

قلت: كتبته على لفــظه قبل دخول الباء، ثم أدخلت البـاء ، وتركت الألف على حالها.

فإن قال: فهل يحذف مع كاف الجر في الكتاب في قولك: ليس اسْمٌ كَاسْمِ الله ؟

قلت: لا أحذفها مع اللام ولا مع الكاف؛ لما ذكرت من العِلَّةِ آنِفاً.

فإن قال: فَلِمَ تحذف الألف مع لام الجر في قولك: لِلـرَّجُلِ، ولا تحذفها مع الباء والكاف في قولك: بِالرَّجُلِ، وكَالرَّجُلِ، وقد استوت الحروف في قولك: اسم؟

وفي ذلك جواب، قـال بعض النحويين: كرهوا اجتماع الصـور؛ لأن صورة اللام كصورة الألف، وليست الباء والكاف كذلك.

فإن قال: ولم كسرت الألف في (امرىءٍ) في الابتداء، وقد تكون ثالثة مضمومة في قولك: هذا امرؤ، كما تقول في الفعل: اقْتُلْ - فَتَضُمُّ الألف ضَمّةَ ثَالِثِهِ؟

قلت: الضمة في (امرىءٍ) غير لازمة، فلم أبْنِ الألف على شيء غير لازم.

فإن قال: ألا بَنَيْتَهُ على الفتح والضم دون الكسر؟

فقد تقـدم جوابنا في هـذا، وقد ذُكِرَ أن الألف كسرت في هـذه المواضع ؛ لالتقاء الساكنين.

فإن قال: فما الدليل على أنها ألف وصل؟

قلت: لـه دليـلان: أحـدهما ذَهَـابُهَا في الـدَّرَج، والثـانى ذهـابها في التصغير، في قولك: سُمَيٌّ، وبُنَيٌّ - فَاعْرِفْهُ، إن شاء الله تعالى.

فإن قال قائل: ولم لَقَّبُوهَا أَلِفَ وصل؟

ففي ذلك جوابان:

قـال الكوفيـون: لُقِّبَتْ ألف وصل؛ لأنها تَصِلُ الكـلام الذى قبلهـا بها بعدهـا، وتذهب في الدَّرَج.

وقال البصريون: لُقِّبَتْ بذلك؛ لأنه تُوُصِّلَ بها إلى الساكن الذى بعدها.

فإن قال: ذكرت أن ثمانية أسماء يدخلها ألف الوصل، وذكرت العِلَّةَ في ذلك، فما المحذوف في كل اسم دخله ألف الوصل؟

قلت: قد ذكرنا بعض ذلك في أوّل الباب، وَوَعَدْنَا شَرْحَ بَاقِيهِ، وهذا موضع ذكره.

قال الكوفيون: الأصل في قولك (اسم) أنه أَمْرٌ من سَمَى يَسْمِي[١١٢]، وسَمَا يَسْمُو. فمن قال: يَسْمِي، كسر الألف، ومن قال: يَسْمُو ضَمَّ، الألف. ثم سَمَّوا به وغَيَّرُوهُ في وجوه الإعراب، وقالوا: الأصل في (ابن) من: بنى يبنى، ثم زادوا فيه ألفاً، وشبهوا الباقي بهذا.

وقال البصريون: المحذوف منه واو؛ لأنه من السُّمُوّ - وهو الرفعة - وكان (سِمْوٌ) مُسَكَّنَ العين. دليل ذلك قولهم : أسماء، كـ(جذْع وأجذاع) والمحذوف من (ابن)واو وكان أصله (بَنَوٌ) محركة النون؛ دليل ذلك قولهم: بنون، وجمعه (أبناء).

فإن قال: وَمَا تُنْكِرُ أن المحذوف ياءٌ، وليس لك دليل قاطع؟

قلت: الأشياء يُسْتَدَلُّ عليها بنظائرها وأشباهها، فَيُسْتَدَلُّ على المحذوف من (ابْنٍ) بنظيره، فتأنيث ابن (بِنْتٌ)، كما أن تأنيث أخ (أُخْتٌ)، فالأخت في تأنيث الأخ نظير البنت في تأنيث الابن، والمحذوف من أخ الذى هو ذَكَرُ الأخت واوٌ بلا خلاف؛ لقولك: أخوان. وكذلك يجب أن يكون المحذوف من ابن الذى هو تذكير البنت واواً؛ لشبهها بالأخ، وإلى هذا أشار المبرد[١١٣]، وهو قول جَيِّدٌ.

---

(١١٢) فى لسان العرب (سمو): السمو: الارتفاع والعلو، تقول منه: سموت وسميت، مثل علوت وعليت وسلوت وسليت، عند ثعلب. ١٠هـ.وعلى نقل الزجاج هنا يكون الاسم عند الكوفيين مأخوذ من سما يسمى من باب ضرب ، ويكون حينئذ بمعنى العلو والارتفاع. وهذا الرأى عنهم غريب، إلى جانب المشهور عندهم من أنه من الوسم بمعنى العلامة.

انظر هذا الخلاف تفصيلا فى المسألة الأولى من الإنصاف، وفى: الدر المصون ١/ ١٩ ومابعدها، وفى: تفسير القرطبى ١/ ٨٨.

(١١٣) انظر المقتضب ١/ ٢٢٩.

والمحذوف من (است) هاء، وكان (سَتَهٌ)، فحذفوا الهاء، وقد ذكرنا ما في ذلك.

فإن قال قائل: ما تقول في ألف (اَيْمُنُ) في القسم؟

قلت: هى ألف وصل: الدليل على ذلك ذهابها في الوصل مثل: لَيْمُ اللهِ، كما قال الشاعر:

وَقَالَ فَرِيقُ الْقَوْمِ لَمَّا نَشَدْتُهُمْ نَعَمْ، وفَرِيقٌ: لَيْمُنُ اللهِ مَا نَدْرِى(١١٤)

فإن قال: فَلِمَ فَتَحْتَهَا، وألفات الوصل في الأسماء لا تكون إلا مكسورة؟

قلت: لأن قولك: اَيْمُ الله، لا يكون إلا في القسم فقط، فأشبه الحروف، ففتحت ألفه.

فإن قال: فلم فتحت الألف التى مع لام التعريف، وهى ألف وصل؟

قلت: في هذا جوابان:

أحدهما: أن هذه الألف داخلة على حرف، وألفات الوصل تدخل على اسم أو فعل، ففتحوا ألف الوصل الداخلة على الأسماء والأفعال.

والجواب الآخر: أن ما بعد اللام يقع مضموماً في قولك: الحُلْم. ومكسوراً في قولك: العِلْم. فلو كسروا الألف أو ضموها ثقلت مع ضمة ما بعدها أو كَسْرِه، وليس بينهما إلاَّ لاَمٌ ساكنةٌ، والساكن ليس بحاجز، فكانوا يَعْدِلُونها إلى الفتح؛ فِرَارَاً من اجتماع كسرتين أو ضمتين، فَبَنَوْهَا على الفتح الذى يصلح مع الحركات كلها.

فإن قال: أَزِيدتْ الألف على اللام، أم وَقَعَتَا مَعاً؟

ففى هذا جوابان:

قال الخليل: الألف واللام دخلتا مَعاً، يُحْدِثَانِ مَعاً التعريف، فقولك: (أَلْ)

(١١٤) البيت من الطويل، قائله نصيب.

انظر: ديوانه ٩٤- سيبويه ٣/ ٥٠٣، ٤/ ١٤٨- المقتضب ١/ ٢٤٨، ٢/ ٩٠- الخصائص ٢/ ٤١٧.

بمنزلة: هَلْ وقَدْ وبَلْ. وكُلُّ حرفٍ أحدث مَعْنىً[١١٥]، ألا ترى الشاعر ربما وصلها بما بعدها، ثم أعادها، قال الشاعر:

قُلْتُ لِطَاهِينَا المُرَوِّى في العَمَلْ
دَعْ ذَا، وَ عَجِّلْ ذَا وَأَلْحِقْنَا بِذَلْ
الشَّحْمِ إِنَّا قَدْ مَلِلْنَاهُ بَجَلْ[١١٦]

وقال آخرون[١١٧]: بل اللام وحدها للتعريف، وهى ساكنة، فأدخلوا عليها ألف الوصل.

فقيل لهم: لِمَ اخْتِيرَتْ اللام من بين الحروف على مذهبكم؟

فقالوا في ذلك قولين:

أحدهما: أن اللام تُدْغَمُ في أربعة عشر حرفاً[١١٨]، فَاسْتَخَفُّوهَا، فاختاروها للتعريف.

---

(١١٥) وعلى هذا الرأى للخليل تكون الهمزة فى (أل) همزة قطع، بدليل أنها مفتوحة؛ إذ لو كانت همزة وصل لكسرت على الأصل.

ويرى سيبويه ومتأخرو النحاة أن أداة التعريف هى اللام وحدها، وأن الهمزةمعها همزة وصل اجتلبت للنطق بالساكن.

انظر كتب النحو عند قول ابن مالك:

أل حرف تعريف أو اللام فقط   فنمط عرفت قل فيه: النمط

(١١٦) رجز، ينسب إلى ذى الرمة- وليس فى ديوانه- كما ينسب إلى غيلان بن حريث- وبَجَلْ بمعنى: حَسْبى وكفانى. ويروى (بِخَلّ) وهو الخل المعروف.

والشاهد فى قوله: بِذَلْ، فإنه أراد: بهذا الشحم، ففصل لام التعريف من الشحم، لما احتاج إليه من إقامة الوزن، ثم أعادها فى (الشحم) لما استأنف ذكره بإعادة حرف الجر.

انظر: سيبويه ٣/ ٣٢٥، ٤/ ١٤٧- المقتضب ١/ ٨٤، ٢/ ٩٤- الخصائص ١/ ٢٩١.

(١١٧) هو سيبويه- كما ذكر فى التعليقة (١١٥).

(١١٨) وتعرف هذه اللام باللام الشمسية، وعكسها اللام القمرية، والحروف الأربعة عشر التى تدغم فيها هى: ت- ث- د- ذ- ر- ز- س- ش- ص- ض- ط- ظ- ل- ن.

والقول الآخر: أنها تُعَرَّفُ آخِراً بالإضافة، ومعنى اللام موجود في الإضافة؛ ألا ترى أن قولك: غُلَامُ عَمْرٍو، معناه: غُلَامٌ لِعَمْرٍو، فأرادوا أن يُعَرِّفُوا الاسم أوّلاً باللام التى تُعَرِّفُ آخِراً.

وقد أحكمنا هذا الباب إحكاماً مُسْتَقْصًى - أغنانا عن ذكره في هذا الموضع - في كتاب آخر؛ لأن هذا موضع إيجاز واختصار، وفيما ذكرنا غَنَاءٌ لمن وُفِّقَ لفهمه. وبالله التوفيق[119].

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِيّ الزجاج:

القول في قوله تعالى ﴿ الله ﴾ جَلَّ اسْمُهُ:

إن قال قائل: ما معنى هذا الاسم؟

فالجواب: أنه رُوِيَ عن ابن عباس[120] أنه قال: ذُوالأُلُوهِيَّة، وهو الذى تَأْلَهُهُ الخَلْقُ، أى تَعْبُدُهُ، وهو إِلَـٰهُ الخَلْق أجمعين. وقرأ ابن عباس ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾[121] يريد: وعبادتك، قال: وكان فرعون يُعْبَد. وكذلك رُوِيَ عن عيسى بن عمر[122] أنه قال:(الله إِلَـٰهُ الآلهة) ومن هذا قول العرب: فلان يَتَأَلَّهُ: إذا تَعَبَّدَ، قال رُؤْبَةُ:

لله دَرُّ الْغَانِيَات الْمُدَّهِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي[123]

(١١٩) إلى هنا انتهت الإجابة عن الأربعين سؤالا الواردة على قوله تعالى: ﴿بِسْمِ﴾، ولذا ساغ له أن يبدأ الأسئلة العشرين عن لفظ الجلالة (الله) بدءا جديدا، بقوله : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ .

(١٢٠) هو: عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حبر الأمة، توفى سنة ٦٨هـ.

(١٢١) الآية ٢٧ من سورة الأعراف. ،انظر القراءة وتفسيرها فى تفسير القرطبى ١/ ٨٨، ولسان العرب (أله). كما تنسب هذه القراءة أيضا إلى ابن مسعود وعلى وأنس. (انظر: البحر المحيط ٤/ ٣٦٧).

(١٢٢) وهو: عيسى بن عمر الثقفى، بصرى، من تلامذة ابن أبى إسحاق الحضرمى، توفى سنة ١٤٩هـ

(١٢٣) رجز، والمدّه: جمع ماده وهو المادح؛ أبدل الحاء هاء؛ لتقارب المخرج.

انظر: ديوانه ١٦٥- المحتسب ١/ ٢٥٦- الدر المصون ١/ ٢٥.

يريد: مِنْ تَعَبُّدى، يقال: أَلِهَ اللَّهَ الْعَبْدُ يَأْلَـهُهُ إِلاَهَةً، كقولك: عَبَدَهُ يَعْبُدُهُ عِبَادَةً.
واختلف النحويون فيه[١٢٤].

فقال سيبويه[١٢٥]: كـان (إِلَـه) على فِعَال، فـأدخلوا الألف والـلام، فقـالـوا: (الإلاه) ثم حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فقالوا: (الله) تعالى.

وقال: هـذا مِثْلُ قولهم: (أُنَـاس) ثم أدخلوا الألف والـلام، فقالـوا: الأنَاس، ثم حذفوا الهمزة، فقالوا: النَّاس. وقد يجاء به على الأصل، قال الشاعر:

إنَّ الْمَنَايَـا يَطَّلِـعْـــــــنَ عَلَى الأُنَاسِ الآمِنِينَا[١٢٦]

فعلى مـذهب سيبويـه: الألف والـلام كأنهما عِوَضٌ من الهمـزة المحـذوفة، وقـد صارتا كأحد حروف الاسم لا يفارقانه، ولا يجوز حذفهما منه؛ لأن اسمه - جَلَّ ثناؤه - مُبَايِنٌ لسائر الأسماء، وهـو منفرد به وَحْدَهُ، لا يَشْرُكُـهُ في هذا الاسم غَيْرُهُ - تعالى الله عُلُوّاً كبيراً.

فإن قال قائل: فـ(الَّذِى) لا يحذف منه ألف ولام، فهما معه كشيء واحد؟

---

(١٢٤) انظر الخلاف تفصيلا في: الدر المصون ١/ ٢٣ وما بعدها، ولسان العرب (أله).

(١٢٥) لسيبويه في اشتقاق لفظ الجلالة رأيان ذكرهما في كتـابه: أحدهما في [٢/ ١٩٥] حيث قـال: « وكأن الاسم - والله أعلم -(إِلَـهٌ) ، فلما أدخل فيـه الألف واللام حذفوا الألف، وصـارت الألف واللام خلفا منها، فهـذا أيضا مما يقويه أن يكون بمنزلة ما هو من نفس الحرف، ومثل ذلك: أناس » .

والثانى في [٣/ ٤٩٨] حيث ذكـر أن الأصل فيه (لَاهٌ) قـال: « كما حذفـوا اللامين من قـولهم: لاه أبوك، حـذفوا لام الإضافة واللام الأخرى ؛ ليخففوا الحرف على اللسان، وذلك ينـوون. قال بعضهـم: لَـهْيَ أبوك، فقلبوا العين، وجعلوا اللام ساكنة؛ إذ صارت مكان العين، كما كانت العين ساكنة، وتركوا آخر الاسم مفتوحا، كما تركوا آخر (أين) مفتوحا، وإنما فعلوا ذلك به حيث غيروه ؛ لكثرته في كلامهم » . ا. هـ.

وانظر تعليق المبرد على هذا في هامش المقتضب ٤/ ٢٤٠ وما بعدها.

(١٢٦) البيت من مجزوء الكامل، قائله ذو جَدَنٍ الحِمْيرِىّ.

انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٩، ٥/ ١٢١ - مجالـس العلماء للزجـاجى ٧٠ - الأمـالى الشجـريـة ١/ ١٢٤، ٢/ ١٢ - الدر المصون ١/ ٢٦.

قلت: (الَّـذِى) لا يشبه هـذا، لأن (الذى) نَعْتُ جَارٍ على كل منعوت، تقـول: رأيت الرجل الذى رأيته، ولبست الثوب الذى لبسته، فلا يلزم موضعاً واحداً، وكان الأصل (لَـذٍ) على وزن (عَم)، دخلت الألـف والـلام فصـار (الَّـذِى)[١٢٧] - وفي (الَّذِى)لُغَاتٌ وأقوال تـراهاً في موضع آخر[١٢٨] - ففارق (الذى) لـدخوله على كل شىء - اسْمَ الله تعالى - على ما ذكرنا.

فإن قال: فلم قالت العرب: يا أَللهُ اغْفِرْ لى[١٢٩]، فأدخلوا (يا) على ما فيه الألف واللام، ولا يقولون: ياَالرَّجُلُ؛ لأن (يا) تُعَرِّفُ تعريفَ الإشارة، والألف واللام يُعَرِّفَانِ تعريفَ الاسم، فلم يدخل تعريفٌ على تعريف؟

قلت: لما كـانت الألف واللام لا يفـارقـانه، وصـارتا كأنهما عـوض من محذوف، صارتا كأنهما من بناء الاسم؛ إذ لم يـوجدا محذوفين، فدخلت (يا) عليهما، كما دخلت على الأسماء.

فإن قال: فقد أدخل (يا) على (التى) الشاعر، فقال:

مِنَ اجْلِكِ يَا الَّتِى تَيَّمْتِ قَلْبِى ... وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ بَالْوَصْلِ عَنِّى[١٣٠]

قلت: إنما أدخل (يا) على (التى) حَمْلاً على ما ذكـرنا، وتشبيهاً به؛ لَمَّا رأى الألف واللامم لازمتين.

فإن قال: فالألف واللام في (النجم والدَّبَرَان)[١٣١] لا يفارقانهما؟

---

(١٢٧) انظر: لسان العرب (لذى).

(١٢٨) وهذه اللغات هى: الذى، الَّذْ (بسكون الذال)، الَّذِ (بكسر الذال)، الَّذِىّ (بتشديد الياء).
انظر: لسان العرب (لذى).

(١٢٩) في لسان العـرب (أله): « قال الكسـائى: العرب تقـول: يا أله اغفر لى ». وانظـر أيضا: المقتضب ٤/ ٢٣٩، ٢٤١.

(١٣٠) البيت من الوافر، ولم يعرف له قائل.
انظر سيبويه ٢/ ١٩٧ - المقتضب ٤/ ٢٤١ - ابن يعيش ٢/ ٨.

(١٣١) يطلق (النجم) في أصله اللغـوى على الكوكب في السماء، ثم خص بنوع واحـد منه هو (الثريـا)، فصار عَلَماً بالغلبة. و(الدبران): نجم بين الثريا والجوزاء، وهو من منازل القمر.
انظر: لسان العرب: نجم، دبر.

قلت: يقال لهذا النجم (الدَّبَران) بالألف واللام، ويقال: أصابه دَبَرانُ الشَّوْقِ – بغير ألف ولام، وليس كل ما دبر[132] شيئاً يقال له: دَبَران، وقد يحذف الألف واللام منه.

وأما (النجم) فإذا قالوه بالألف واللام فإنهم يَعْنُونَ (الثُّرَيَّا) لاَغَيْرُ، فإذا حذفوا الألف واللام صار نَجْماً.

وقولك: (اللَّهُ) مُبَاينٌ لكل ما ذكرتُ؛ لأنه لا يدفع شَيْئاً على وجه الصُّدْفَةِ[133]، ولا يقع على غيره، ولا يُحذف منه الألف واللام. وإن تكلم به في موضع من غير ألف ولام فهو معروف غير مُلْتَبِسٍ؛ ألا ترى أن العرب قد خَصَّتْ هذا الاسم بأشياءَ لا تكون في غيره، من ذلك قولهم في اليمين: (تَاللهِ) فيدخلون الباء والواو على كل محلوف به وعلى اسم الله عز وجل، ولا يحلفون بالتاء إلا في اسم الله تعالى؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تَاللهِ تَفتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾[134] ولم توجد التاء في غير هذا الاسم[135]؛ لأن الشيء إذا انفرد في كلامهم كان له نَحْوٌ مَا، ليس لغيره، وستراه.

قال سيبويه: من العرب من يقول: لاَهِ أَبُوكَ، يريدون: للهِ أبوك، فيحذفون إحدى اللامين[136]، وقال الشاعر:

لاَهِ ابْنُ عَمِّكَ، لاَ أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ … عَنِّي، وَلاَ أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي[137]

(١٣٢) دبر الرجل صاحبه: تبعه.

(١٣٣) كذا بالأصل، والمعنى غير واضح.

(١٣٤) الآية ٨٥ من سورة يوسف.

(١٣٥) وورد عن العرب دخولها على (الرحمن) وعلى (رَبّ) المضافة إلى الكعبة، فقالوا: تَالرَّحْمَنِ، تَرَبِّ الكعبة، وحكى شذوذاً قولهم: تَحَيَاتِكَ.
انظر: الجنى الداني ١١٧.

(١٣٦) في كتاب سيبويه [٣/ ٤٩٨]: «وحذفوا الواو كما حذفوا اللامين من قولهم: لاه أبوك، حذفوا لام الإضافة واللام الأخرى؛ ليخففوا الحرف على اللسان، وذلك ينوون» .

(١٣٧) البيت من البسيط، قائله ذو الإصبع العدواني.
انظر: الأمالي الشجرية ٢/ ١٣، ٢٦٩ – المقرب ٤٢ – مجالس العلماء للزجاجي ٧١ – الخصائص ٢/ ٢٨٨ – شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٤٧١، ٤٨٣.

يريد: للهِ ابْنُ عَمِّكَ، فحذف اللام.

واختلف النحويون في اللام المحذوفة:

فقال بعضهم: المحذوفة لام الجر؛ لأنها زائدة، والزائد أَوْلَى بالحذف من الأصل، فقيل لهم: فإن حرف الجر لا يضمر ولا يحذف.

وقال آخرون: المحذوف لام الأصل؛ وبقيت لام الجر؛ إذْ كان حرف الجر لا يضمر. فقيل لهم: لو كان كما تزعمون لكانت اللام مكسورة، فقالوا: لام الجر مع المَكْنِيِّ[(١٣٨)] مفتوحةٌ. فقيل لهم: أَلاَ كسرتموها، كما كسرتم في قولكم: (للهِ) فقالوا: لو فعلنا ذلك لانقلبت الألف التى بعد اللام ياءً؛ للكسرة قبلها.

فَعَلَى هذا القول يكون على (فِعَال وأَفْعِلَة)، فتقول: إِلَـهٌ وآلِـهَةٌ، ثم تدخل الألف واللام - كما ذكر سيبويه.

وهذا هو اسم الله تعالى، وماعداه فإنه يجرى مجرى صفاته، فيكون اشتقاقه، كالقدير من قدر، والعليم من علم، وما أشبهه. فهذا قول سيبويه، وقد اتضح مراده ومغزاه.

وقال آخرون: كان (فَعَل)، فذكروا أن (إِلَـه) كان (لاَهٌ) على (فَعَلٌ) ، ثم دخلت عليه الألف واللام، فصار لفظه كما ترى[(١٣٩)] . وهذا قول يختاره المبرد.

وقال آخرون: كانت تعظيماً لله تعالى، وإبانةً من كل مخلوق فهو اسم، وإن كان فيه معنى فِعْل - على قول ابن عباس.

---

(١٣٨) المكنىّ هو الضمير.

(١٣٩) لاَهَ يَلُوهُ لِيَاهاً: أى احتجب، فالألف على هذا القول من أصل الكلمة وليست زائدة (ولكنها منقلبة عن واو) ثم دخل عليه حرف التعريف فصار (اللاه) ثم أدغمت لام التعريف في اللام بعدها، لاجتماع شروط الإدغام، وفخمت لامه، ووزنه على هذا القول هو: فَعَلٌ .

ومن العلماء من ذهب إلى أنه من: لاه يليه لياها: أى ارتفع، ومنه قيل للشمس: إلاهة - بكسر الهمزة وفتحها - لارتفاعها، وقيل لاتخاذهم إياها معبودا.

فإن قـال قـائل: فما تقول في قـول الله تعـالى: ﴿وَهُـوَ اللَّهُ فِـى السَّمَـوٰتِ وَ فِى الأَرْضِ﴾[140] وأنت تقول: زيد أبوك في الدار - تجعل الظرفَ مِنْ خَبَرِ زَيْدٍ؟

قيل له: المعنى: وهو المعبود في السموات وفي الأرض، فلما جاز أن يقدر فيه فِعْل تَبِعَـهُ الظروفُ كما تتبع الأفعـال. ويجوز أن يَتِمَّ الكـلام على قولـه ﴿وَ هُوَ اللّـهُ﴾ ثم تضمر ابتداءً فتقول: هو في السموات وفي الأرض.

وقال قـوم: يَتِمُّ الكلام عند قولـه ﴿وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَـوَاتِ﴾ ثم يبتدىء ﴿وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِــرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ﴾ وهـذا بَعِيدٌ لا يصح؛ لأن الله تعـالى لا يخلو منـه مكان - كما ذكر.

فإن قال: وَ لِــم فتحت الألف التى مع اللام؟ فقـد ذكرنا عِلَّـةَ ذلك عند ذكـرنا الأَلِفَاتِ.

فإن قال قائل: وما موضعه من الإعراب؟

قلت: هـو مجرور بإضـافـة (اسم) إليه، ومعنـاه: ابتـدائى بتسميـة الله، وأضفت التسمية إلى الله تعالى، وقد ذكرنا الإضافة ووجهها في موضع آخر.

وقال قوم: إنما فُخِّمَ اسم الله عَزَّ وَ جَلَّ دون مـا فيه لامان من الأسماء نحو: الَّلَيْل والَّلحْم، وما أشبههما؛ تعظيماً لله تعالى ومُبَايَنَةً له من خَلْقِهِ.

فإن قال: ولم فتحت هذا الاسم ومنعته من التفخيم في قـوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُـوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَـا أُوتِىَ رُسُلُ اللَّهِ﴾[141] . فُخِّمَ الأوّل، ولم يُفَخَّـمْ الثانى؟

(١٤٠) الآية ٣ من سورة الأنعام.

(١٤١) الآية ١٢٤ من سورة الأنعام.

قلت: لأن الأوّل قبله ضمة، وإذا كانت قبل الاسم ضمة أو فتحة جاز تفخيمها، وإذا كان كسرة لم يَجُزْ تفخيمها.(١٤٢)

فإن قال: ولِمَ ذلك؟

قلت: لأن الضمة مُسْتَفِلَةٌ، وكذلك الفتحة والكسرة مُسْتَفِلَةٌ، والتفخيم مُسْتَعْلٍ، فجرى اللسان مجرى واحداً في اللَّغْوِ. وإن كان كسرة.

وقد رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: الرحمن الرحيم: القريب القريب ممن أحب، والبعيد البعيد ممن عاند.

وروى عن عطاءٍ الخراسانى(١٤٣) قَوْلٌ جَيِّدٌ: وذلك أنه قال: (الرحمن) اسم الله تعالى، فلما اخْتُزِلَ أضيف إليه (الرحيم)؛ ليكون (الرحمن الرحيم) له دون كل أحد.

ومعنى هذا القول من عطاء: أن الرحمن كان اسماً لله، فلما تسمى به مُسَيْلَمَةُ أضيف إليه (الرحيم)؛ ليكون (الرحمن الرحيم) مجتمعان لله، لا لغيره. وكان الذى يقال له: الرحمن لم يُقَلْ له: الرحمن الرحيم.

وقد روى عن أحمد بن يحيى ثعلب(١٤٤) قَوْلٌ أَحْسَنُ، وذلك أنه قال: (رَحْمٰنُ) لغير الله رحمان، فَعُرِّفَ، ثم أضيف إليه (الرحيم). وهو اسم عربى اجتمع مع الاسم

---

(١٤٢) جاء في الدر المصون [١/ ٢٧ وما بعدها]: وحكم لامه - يعنى لفظ الجلالة - التفخيم؛ تعظيماً، ما لم يتقدمه كسر فترقق، وإن كان أبو القاسم الزمخشرى قد أطلق التفخيم، ولكنه يريد ما قلته.

ونقل أبو البقاء أن منهم من يرققها على كل حال، وهذا ليس بشىء؛ لأن العرب على خلافه كابرا عن كابر - كما ذكره الزمخشرى - . ونقل أهل القراءة خلافا فيما إذا تقدمه فتحة ممالة - أى قريبة من الكسرة - فمنهم من يرققها، ومنهم من يفخمها، وذلك كقراءة السوسىّ في أحد وجهيه: ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾.

(١٤٣) هو: عطاء بن مسلم بن ميسرة الخراسانى، نزيل بيت المقدس، مفسر، كان يغزو، ويكثر من التهجد ليلا، ولد سنة ٥٠ هـ وتوفى سنة ١٣٥ هـ. وانظر ما قاله هنا في: تفسير الطبرى ١/ ٥٧.

(١٤٤) هو: أبو العباس أحمد بن يحيى، من نحاة الكوفية، أشهر مصنفاته: الفصيح والمجالس، توفى سنة ٢٩١ هـ. وانظر هذا القول في: تفسير القرطبى ١/ ٩١، كما ينسب أيضا إلى المبرد. (انظر: الزاهر في معانى كلمات الناس ١/ ١٥٣).

الذي كان عبرانياً اسم عربي. وأنشد قول جرير بن الْخَطَفَى يهجو الأخطل:

لَنْ تُدْرِكُوا الْمَجْدَ، أَوْ تَشْرُوا عَبَاءَكُمُ ... بِالْخَزِّ أَوْ تَجْعَلُوا الْيَنْبُوتَ ضَمْرَانَا[١٤٥]

أَوْ تَتْرُكُونَ إِلَى الدَّيْرَيْنِ هِجْرَتَكُم ... وَ مَسْحَكُمْ صُلْبَهُمْ رَخْمَانُ قُرْبَانَا

فأتى به على أصله.

فإن قال قائل: فإن (رحمان) مبنى على فِعْل، بمنزلة قولك: عَطِش، وهو عطشان.

فالجواب: أن (عطشان) غير مُتَعَدٍّ، و(رحمان) مُتَعَدٍّ، فلا يشبه هذا الباب.

فإن قال: فما موضعهما من الإعراب؟

فالجواب عن ذلك: أنهما مجروران؛ لأنهما صفتان لله تعالى، والصفة تتبع الموصوف.

فإن قال قائل: فما وجه صفة الله تعالى بهما؟

فالجواب في ذلك ما قاله النحويون - واختاره المبرد - وهو أن الأسماء توصف على وجهين:

أحدهما: أن الأسماء تحتاج إلى بيان؛ لتقرب من فهم المخاطب، فتأتى بالصفة تبييناً؛ ألا ترى أنك لو قلت: قام عمرو - ويعرف المخاطب عُمُوراً كثيرةً - لم تتبين حتى تقول: العاقلُ أو الكاتبُ - فتأتى بصفة يَنْمَازُ بها من غيره، فهذا وَجْهٌ؛ ولذلك لم توصف المضمرات؛ لأنها لم تضمر إلا بعد معرفتها، فلا تحتاج إلى بيان.

والوجه الثاني: أن يكون الاسم عَلَماً مشهوراً، لا يحتاج إلى ما يُبَيِّنُهُ، فحينئذٍ تَذْكُرُ صِفَةً مَدْحاً.

---

(١٤٥) البيتان من البسيط- والينبوت: نوع من الشجر. ويروى (عباءتكم) بدلا من (عباءكم). و(القَسَّيْن) بدلاً من (الديرين). و(رخمان) - بالخاء - بدلا من (رحمان) - بالحاء - على أصله العبراني.

انظر: ديوان جرير ٥٩٨ - الزاهر ١/ ١٥٣ - الطارقية ٧٤.

وعلى هـذا الوجـه الثانى صِفَـاتُ الله تعالى، إنما تـذكر؛ تبينـاً على فضله وسَعَتِـهِ وعطائه، ويكون الذاكرُ لها مُحْرِزاً ثَوَاباً بالثناء على الله تعالى.

فهـذا الـوجـه الثـانـى من الصفـات يجوز أن تتبع الأسماءَ في إعـرابها، ويجوز أن تنصبها على المدح - بإضمار (أَعْنِى) وترفعها أيْضاً على المدح - بإضمار (هم).

والذَّمُّ والمَدْحُ كثيران في كلام العرب شائعـان. فعلى هذا يجوز أن تقول: (الرحمنِ الرحيمِ) فتتبع إعـراب الاسم الذى قبلهما - وهى القراءة - ويجوز في العـربية رفعهما ونصبهما، وهو جـائزان - و لا يقرأ بهما - ؛ لأن القراءة سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، يأخذهـا الآخِرُ عن الأوّل، قال الشاعر:

وَكُلُّ قَوْمٍ أَطَاعُوا أَمْرَ مُرْشِدِهِمْ ... إلاَّ نُمَيْرا، أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا[146]

الظَّاعِنُونَ، وَ لَمَّا يَظْعَنُوا أَحَـداً ... وَ الْقَائِلُونَ: لِمَـنْ دَارٌ نُخَلِّيهَا

ويروى: (مبانيها)

وينشد: الظاعنين والقـائلين رفعاً ونصباً، وبرفع أحدهما وبنصبه - على مـا ذكرنا من المدح.

وقال آخر في الذم:

سَقَوْنِى الْخَمْرَ، ثُمَّ تَكَنَّفُونِى ... عُدَاةَ اللّهِ مِنْ كَذِب وَزُورِ[147]

(١٤٦) البيتان من البسيط، قائلهما ابن خياط العكلى.

والمعنى: أنهم يخافون عـدوهم، لِذُلِّهِمْ وقلّتهمْ، فيحملهم ذلك على الظعن والهجرة. ولما يظعنـوا أحدا، أى: لا يخافهم عدوهم فيظعن عن داره خـوفاً. و(لمن دار نخليها): أى إذا جَلَـوْا عن دار لم يعرفوا مَنْ يَحُلُّهَـاَ من بعدهم؛ لخوفهم من القبائل جميعا.

انظر سيبويه ٢/ ٦٤ - النكت في تفسير كتاب سيبويه ١/ ٤٧٣.

(١٤٧) البيت من الوافـر، قائلة عروة بن الـورد. ويروى: (سقونى النَّسْءَ) ، و(النَّسْءُ) هو: الخمـر التى تزيل العقل.

و(تكنفونى): أحاطوا بى، و(العداة): جمع عَادٍ، بمعنى العدوّ.

انظر: ديوان عروة ٩٠ - مجالس ثعلب ٢/ ٣٤٩ - سيبويه ٢/ ٧٠ - لسان العرب (نسأ).

فنصبه على الذم - ومثله كثير.

فإن قال قائل: فَلِمَ أَدْغَمْتَ اللام في الراء، وأَثْبَتَّهَا في الكتاب[148]؟

قلت: اللام قريبة المخرج من الراء، فأدغمت فيها، ولا يدغم أكثر النحويين الراء في اللام؛ لأن في الراء تكريراً، فإذا أدغمت ذهب تكريرها، إلا أبا عمرو بن العلاء[149]، فإنه رأى إدغام الراء في اللام، وسترى هذا مشروعاً في قراءة أبي عمرو، إن شاء الله. وأثبت اللام في الخَطِّ؛ لأن الخَطَّ مبناه على الوقف، فكأنك وقفت على الكلام، وحذفت الألف التي بعد الميم في الكتاب؛ لكثرة الاستعمال، ولأن اللبس مأمون، كما حذفوا الألف في خالد ومالك[150]

فإن قال قائل: فهل يجوز أن يُجَرَّ أحدهما، ويُرْفَعَ الآخر؟

فإنه بعيدٌ، وجائزٌ - على بُعْدِه.

وليست هذه الصفات التي يوصف الله عَزَّ وَجَلَّ بها إلا على جهة المدح والتعظيم، لا على جهة ما يوصف به المخلوقون؛ ألا ترى أن حَدَّ الصفات في الأَنَاسِيِّ: أنه متى زادت الصفة نقص الموصوف، ومثال ذلك أنك إذا قلت: عندي رجل: كان شائعاً في كل مَنْ كان في بِنْيَةِ الرجل. فإذا قلت: عندي رجل عاقلٌ كاتبٌ، كان شائعاً في الرجال العقلاء، من كل امرىء كان في بِنْيَةَ الرجال الكُتَّاب، وهكذا. متى زِدْتَّ في الصفة نقص الموصوف. وليس هذا موجوداً في اسم الله عز وَجَلَّ ؛ لأنه واحد لا شبيه له، تعالى عُلُوّاً كبيراً.

(١٤٨) جاء في الطارقية [٧٢]: « فإن سأل سائل فقال: إنما أدغمت اللام في الراء لقرب المخرجين، فهل يجوز إدغام الراء في اللام، نحو استغفر لهم؟ فقل: لا، وذلك أن سيبويه وغيره من البصريين لا يجيزون إدغام الراء في اللام، وذلك أن الراء حرف فيه تكرير؛ فكأنه إذا أدغمه فقد أدغم حرفا مشدداً، نحو (مَسَّ سَقَرَ)، و(أُحِلَّ لكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ)، وإدغام المشدد فيما بعد خطأ بإجماع. وكان الفراء يجيز إدغام الراء في اللام، كما يجيز إدغام اللام في الراء » .

(١٤٩) هو: يحيى بن العلاء بن عمار المازني، قيل: اسمه العريان، وقيل: زبان، وقيل: عيينة، وهو أحد القراء السبعة، توفي سنة ١٥٤ هـ.

(١٥٠) أي: فكتبوا: (خَـٰلِد وَمَـٰلِك).

وفيما ذكرنا من الأصول والعلل في ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ كفايةٌ لمن وُفِّقَ لفهمه.

فَتَدَبَّرْ - أصلحك الله - ما كتبتُ به إليك، واعْرِفْ أقوال العلماء، فإنى ما ذكرتُ لك قَوْلاً، إلا وقد تقدَّمنى قائل، ذكرتُهُ أو أغفلتُ ذكره.

والله الموفق للصواب والسداد، والمُنْجِى من الزَّلَلِ والخطأ في القول والعمل، وهو حَسْبُنَا، ونِعْمَ الوكيلُ.

تم الكتاب ، والحمد لله العزيز الوهاب ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

* * *

« أولاً »

محتوى الكتاب

* * *

« ثانيا »

« الفهارس »

(١)

« القرآن الكريم »

إذا المَرئِيُّ شَبَّ لَه بناتٌ	عَصَبْنَ برأسه إِبَةً وعارا	٧٩
جئنى بمثل بنى بدر لقومهم	أو مثل أسرة منظور بن سيار	٧٥
وقال فريق القوم لمَّا نَشَدتُّهُمْ	نعم، وفريق: لَيَمُنُ اللَّهِ ما ندرى	٨٤
سَقَوْنِى الخمر ثم تكَنَّفُونى	عُدَاةَ الله، مِنْ كذب وزوُر	٩٤
أُدْعُ أُصَيْحاً باسمه لا تَنْسَهُ	إن أُحَيْحاً هى صِئْبُأنِ السَّهْ	٧٨
أكُفراً بعد رَدِّ الموت عنى	وبعد عطائك المائة الرِّتاعا	٦٧
فلئن قوم أصابوا عزَّةً	وأصبنا من زمان رنَقاً	٧٧
لَلَقَدْ كانوا على أزمانهم	بصنيعين لبأس وتُقَى	٧٧
يانَفْسُ صَبْراً كُلُّ حَيٍّ لاقِ	وكُلُّ إِثْنَيْنِ إلى افتراق	٨٠
يأيها المائحُ دَلْوِى دُونَكَا	إنى رأيت الناس يحمدونكا	
يثنون خيراً ويمدحونكا		٦٦
اللَّهُ سَمَّاك سُمًّا مباركا	آثرك الله به إيثاركا	٦٨
قلت لطاهينا المُرَوِّى في العمل		
دع ذا وعجل ذا وألحقنا بِذَا الْ		
الشحمِ إنَّا قد مللناه بَجَلْ		٨٦
لا ينتهون ولا يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ	كالطعن يذهب فيه الزيت والفُتُلُ	٦٣
بِأَبِى امْرُؤٌ والشامُ بينى وبينه	أتتنى بِبُشْرى بُرْدُهُ ورسائلُهُ	٧٩
ألا لا أرى إثنين أحسن شِيْمَةً	على حَدَثان الدهر منى ومِنْ جُمْلِ	٨٠
وما أنا بالمخسوس في جِذْم مالك	ولا مَنْ تَسَمَّى ثم يلتزم الإسما	٨٠
أظليم إن مصابكم رجلا	أعطى السلام تحية ظلم	٦٧
وعَامُنا أعجبنا مُقَدَّمُهُ	يُدْعَى أبا السَّمح وَقِرْضَابٌ سُمُهْ	٦٨
عَلَى اسم الله ثم لِدِى غلاماً	له المال المُقَدَّمُ في الضميم	٦٤
لن تُدْركُوا المجد أو تَشْرُوا عباءكُمُ	بِالخَزِّ أو تجعلوا اليَنْبُوتَ ضَمْرَانا	٩٣

(٥)

الأعلام

(٦)

اللغات

(٧)

الكتب

* * *